الاستفهامات القرآنية الدالة على إثبات وجود الله تعالى بطريق العقل والحسّ
(عرض ودراسة)

إعداد

د. أبو بكر بن سالم شهال

أستاذ مساعد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية أصول الدين

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

ملخص البحث

الحمد لله وكفىٰ وصلىٰ الله علىٰ النبي المصطفىٰ، وعلىٰ آله وأصحابه وعلىٰ من سار بدربهم واقتفىٰ، وبعد:

فقد درست ما ورد في القرآن الكريم من استفهامات دلّت علىٰ إثبات وجود الله، عن طريق العقل والحسّ، فأسلوب الاستفهام فيه تقرير وإنكار، وتوبيخ وتعجيب، ولفت للأنظار وغير ذلك، وربما اجتمعت عدةُ أغراضٍ في الاستفهام الواحد؛ مما يستدعي دراسته من الجانب البلاغي والعقدي معـًا.

والذي دفعني لذلك أيضـًا ما راج عند كثير من المتكلمين أن القرآن الحكيم ليس فيه أدلة عقلية برهانية تدل علىٰ إثبات وجود الله تعالىٰ، فتتبعت الآيات الدالة علىٰ وجوده سبحانه، ودرستها من جهة المعنىٰ البلاغي والعقدي، وبينت بأقوالِ العلماءِ دلالةَ هذه الآيات علىٰ وجود الله عز وجل، وقد رأيتُ استفهاماتٍ قرآنيةً عديدةً، قرّرَتْ ذلك بأنواعٍ من الأدلة، وهذه الدلالات هي:

الدلالة العقلية، ودلالة النفس والخلق والآفاق، ودلالة العناية، حيث جعل الله الخلقَ كلَّه مُسخراً للإنسان متلائمـًا مع طبعه ووجوده. وهناك دلالة التخصيص، حيث اعتبرها كثير من العلماء دلالةً صحيحةً علىٰ وجود الله عز وجل، فهذا التخصيص لا بدّ له من مخصِّص، عليم حكيم مريد، وهو الله جل في علاه.

وبهذا يتبيّن لنا أنّ كلَّ الأدلةِ المعتبرةِ في إثباتِ وجودِ اللهِ تعالىٰ موجودةٌ في القرآنِ العظيم، وبصيغة الاستفهام، وأنَّ الدلائلَ القرآنيةَ خاليةٌ من التعقيداتِ الكلامية، والشُّبهِ المنطقيةِ والفلسفية، التي لا توصل ليقين، بل ربما تزرع الشبهات فتحصد الشكوك.

وأوصيتُ بمزيد من الدراسات المتعلقة بالاستفهامات الواردة في أبواب الاعتقاد، وبدراسة مستقلة مقارنة تُدْرَسُ فيها الآياتُ التي استَشْهد بها علماءُ البلاغة ولها ارتباط بالجانب العقدي.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم، والحمد لله رب العالمين.

كلمات مفتاحية: الاستفهام / القرآن / العقل / المتكلمون / الربوبية/ الإلحاد.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان علىٰ عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام علىٰ من أرسله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلىٰ صحبه أولي النهىٰ الذين عزروه ووقروه توقيراً، وعلىٰ من سار بدربهم واقتفىٰ أثرهم.

أما بعد:

فإن كتاب الله تعالىٰ خير ما يشتغل به العاملون، وأحسن ما يتفقه به المتفقهون، وأفضل ما يتدبره المتدبرون، وخير ما قطعت له الأوقات، وفنيت به الأعمار، فقد جعل الله فيه كلّ ما يحتاجونه من أصول دينهم، فضمّن كتابه العزيز أصول الأدلة الإيمانية، بطرق وأساليب بيانية، تخاطب العقول والقلوب، علىٰ اختلاف مراحلها ومراتبها العلمية والثقافية، فلا تدع مجالاً لمعترض أو متشكك مرتاب، إلا وتقيم عليه الحجج القوية البالغة، وتحق الحق بصورة جلية دامغة، فلا يجد سامعها إلا التسليم لها والإقرار بها، ولا يبقىٰ لمعترض شبهة ، ولا لمتشكك ريب، فمن لم يؤمن فلتكذيب ومكابرة فيه، وليس لقصور دليل، أو ضعف تعليل.

ولذلك حينما سمع العرب هذا القرآن لم يجدوا سبيلاً للاعتراض عليه ـ بعدما عرفوا صدقه وقوة حجته ـ إلا التكذيب والمكابرة، ثم اختلفوا في وصفه، فمنهم من قال: سحر، ومن قال: شعر، ومنهم من قال: أساطير الأولين، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾[النبأ:١-٣] وكما قال تعالىٰ:﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢﴾ [الذاريات:٥٢] وكما قال:﴿إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٍ مُّخۡتَلِفٍ ۝٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات:٨-٩].

ولما رأيت من الأساليب في بيان إثبات وجود الرب سبحانه وتعالىٰ أسلوب الاستفهام؛ أحببت أن أستعرض هذا الأسلوب وأبيّن مدىٰ علاقته بتقرير أم العقائد وأساسها، فكان هذا البحث الذي بعنوان: **"الاستفهامات القرآنية الدالة علىٰ إثبات وجود الله تعالىٰ بطريق العقل والحسّ عرضاً ودراسة"**.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث أن كثيراً من المتكلمين لا يعتبرون دليل السمع أمراً قاطعًا علىٰ وجود الله، وأن السمع بحاجة لدليل عقلي لإثباته فلا يصلح أن يكون دليلاً، والفرع لا يكون دليلاً للأصل، وإنما هو مجرد إخبار، فكان هذا البحث لإبراز جانب مهمّ من الأدلة النقلية التي جرت مجرىٰ الأدلة العقلية وقد جاءت لتقرر وجود الله تعالىٰ، وإبراز الأدلة النقلية التي قررت الدليل العقلي والحسي، أو المركب من الحسي والعقلي، وذلك علىٰ نمط واحد، وهو الاستفهام، دون الأساليب القرآنية الأخرىٰ، فإن من تكلم في الأدلة القرآنية علىٰ وجود الله لم يخص منها ما يتعلّق بأسلوب الاستفهام الذي يمتاز عن غيره بمعانٍ وأغراض بلاغية عدة، تقوي الدليل، وتزيد من بيانه ووضوحه.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

إن الأساليب القرآنية في إثبات العقائد متنوعة وكثيرة، ومنها أسلوب الاستفهام، لما يتميز هذا الأسلوب من تحريك الأذهان ولفت الأنظار، ولما يتضمن من تقرير أو إنكار، أو تنبيه وتذكير وإرشاد، وكل هذه الأساليب بالغة في إقامة الحجة والدليل علىٰ المخاصم والمعاند، كما أن فيها التنبيه علىٰ ما قد يغفل عنه الإنسان مما اعتاد علىٰ سماعه أو رؤيته، فتحرك فيه الفطرة الكامنة، وتذكره بالاعتراف بالحق، وتحذره من الوقوع في الجحود والإنكار.

ولأهمية الاستفهام فلا يكاد يوجد تقرير لعقيدة، وإبطال لأخرىٰ إلا وفيها أسلوب تقريري أو إنكاري أو توبيخي أو تنبيهي، أو تعجيبي، أو تعجبي؛ فبمعرفة مسائل الاستفهام يتبين أن للقرآن أسراراً لا يطلع علىٰ خباياها ولا يقدر قدر مزاياها إلا المطلعون الراسخون في علوم البلاغة ــ كما قال علماء البلاغة ــ فهذه محاولة مني لمعرفة شيء من بلاغة القرآن المتعلقة بالعقائد، فإن أصبت فبفضل الله ورحمته، وإن أخطأت فأستغفر الله من كل خطأ وزلل.

الدراسات السابقة:

لم أقف علىٰ بحث يخص الاستفهامات الواردة في القرآن الدالة علىٰ إثبات وجود الله تعالىٰ، ودراستها عقديًا، وإنما تدور أغلب الدراسات المتعلقة بالربوبية، وعلىٰ الأدلة العقلية والنقلية الدالة علىٰ ذلك، ككتاب الشيخ الدكتور سعود العريفي، في كتابه: الأدلّة العقلية النقلية علىٰ أصول الاعتقاد، ويفترق بحثي عن كتابه رفيع القدر؛ أنني أدرس نص الآيات من ناحية بلاغية وهي الاستفهام، ومن ناحية استخراج الدليل من الآية، ثم الكلام العام حول الدليل، بينما هو لا يذكر إلا الكلام العام عن الدلالة مع ذكره للآيات الدالة علىٰ ذلك.

وهو بسبق حائز تفضيلا ** مستوجب ثنائي الجميلا

ولم تتعرض الدراسات السابقة لهذا النوع من الأدلة المتعلق بالاستفهامات، وتعدد دلالتها وتنوعها علىٰ وجود الله تعالىٰ.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، فتتبعت آيات الاستفهام الدالة علىٰ الربوبية ثم الدالة منها علىٰ وجود الله دون ما تدل علىٰ خصائص الربوبية، ودرست نوع الاستفهام الذي فيها وبيَّنتُ دلالتَه علىٰ وجود الله سبحانه وتعالىٰ، من خلال أقوال العلماء والمفسرين.

وقد قسمت كلَّ نوع من الأدلة إلىٰ ثلاث مسائل:

المسالة الأولىٰ: في ذكر الدليل وسرده.

المسألة الثانية: في توضيح نوع الاستفهام.

المسألة الثالثة: في تقرير المسألة من أقوال العلماء.

وأما فيما يتعلق بخدمة النص فإني قد خرجت الآيات في صلب البحث، وخرجت الأحاديث الواردة فيه تخريجًا علميًا، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان في غيرهما فإني أذكر حكمه ممن يعتمد حكمه من المحققين والحفاظ.

وما ورد في البحث من أبيات شعرية فإنّي خرجتها من مصادرها الأصلية إن وجدت، وإلا فمن المصادر المتقدمة بقدر الطاقة.

خطة البحث:

تكوّن البحث من مقدمة، وتمهيد وأربعة مباحث، وخاتمة، ثم الفهارس اللازمة.

المقدمة، وفيها: سبب اختيار الموضوع وأهميته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

التمهيد: وفيه ذكر اشتمال القرآن الكريم علىٰ الأدلة العقلية بخلاف ما يقوله بعض علماء الكلام.

المبحث الأول: الاستفهام الدال علىٰ إثبات وجود الله بالطريقة العقلية.

المبحث الثاني: الاستفهام في دلالة النفس والخلق.

المبحث الثالث: الاستفهام في دلالة العناية والاختراع.

المبحث الرابع: الاستفهام في دلالة التخصيص.

الخاتمة.

وهذا وأسأل الله تعالىٰ أن يعينني ويسددني فيما أكتب وأقول، وأسأله سبحانه التوفيق والقبول، إنه أكرم مطلوب وخير مسؤول.

وصلِّ يا ربّ علىٰ محمّد ** هادي الأنام للطريق الأرشدِ

وآله وصحبه أولي النُّهىٰ ** ومن مضىٰ بدربهم لم يحِدِ

❋ ❋ ❋

التمهيد

قبل الشروع في موضوع الاستفهامات القرآنية، يحسن الكلام علىٰ مسألتين:

الأولىٰ: تعريف الاستفهام، وأنواعه وأغراضه.

والثانية: موقف المتكلمين من الاحتجاج بالوحي.

المسألة الأولىٰ: الكلام حول الاستفهام:

الاستفهام هو: طلب الفهم، نحو أزيد قائم؟[1].

والحروف الموضوعة[2] للاستفهام ثلاثة: الهمزة، و(هل)، و(أم)، وأما غيرها مما يستفهم به كـ(مَن) و(ما) و(متىٰ) و(أين) و(أنىٰ) و(كيف) و(كم) و(أيان) فأسماء استفهام استُفهم بها نيابة عن الهمزة[3]. ولذا خصصت الهمزة بخصائص عند عند أهل اللغة [4].

وقد توسعت العرب فأخرجت، الاستفهام عن معناه، أو أشربته تلك المعاني، ولا يختص التجوز في ذلك بالهمزة علىٰ الراجح[5]، فترد لمعانٍ كثيرة، وسأتكلم عن عن التقرير والإنكار نظراً لتكررهما في هذا البحث.

---

(١) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، جمال الدين الأنصاري، (ت٧٦١هـ) حققه الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، ١/ ٥، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨، ٢/ ٣٢٦.

(٢) انظر أدوات الاستفهام: مفتاح العلوم، السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (٦٢٦هـ) مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ص١٤٨، والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، جلال الدين، أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص١٣٦، ملخص تلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الأنصاري، أبو يحيىٰ زكريا الأنصاري (٩٢٦هـ) تحقيق إلياس قبلان التركي، دار صادر، بيروت، مكتبة الإرشاد، استانبول، ط١، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، ص١١٣.

(٣) انظر البرهان، الزركشي، ٢/ ٣٤٧، وانظر أيضاً مغني اللبيب، ابن هشام، ١/ ٥، حيث قال: الألف أصل أدوات الاستفهام.

(٤) انظر مغني اللبيب، ابن هشام، ١/ ٧.

(٥) انظر الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ) تقديم وتعليق: مصطفىٰ ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، ٢/ ٨٨٤.

الاستفهام التقريري:

الاستفهام التقريري: هو حمل المخاطب علىٰ الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقر عنده ثبوته أو نفيه[١].

وقيل: "الاستفهام التقريري هو الاستفهام عن المقدمات البينة البرهانية [٢] التي لا يمكن لأحد أن يجحدها، وهي تدل علىٰ المطلوب لتقرير المخاطب بالحق، ولاعترافه بإنكار الباطل، وهذا النوع من أحسن جدل القرآن بالبرهان، فإن الجدل إنما يشترط فيه أن يسلم الخصم بالمقدمات، أو أن تكون بيّنة معروفة، فإذا كانت بينة معروفة كانت برهانية[٣]".

فإذا أردت التقرير فإنك تجعل الذي أردتَّ الإقرارَ به واليًا الهمزة؛ فتقول في التقرير بالفعل: أضربت زيداً؟ وفي التقرير بالفاعل: أأنت فعلتَ؟ وفي تقريره بالمفعول: أخالداً ضربتَ؟.

وقد يطلق التقرير بمعنىٰ التحقيق، والتثبيت، فيقال: أقتلتَ خالداً؟ بمعنىٰ أنك قتلته البتة[٤].

استفهام الإنكار:

من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام عن معناه الأصلي إلىٰ معنىٰ

---

(١) انظر مغني اللبيب، ابن هشام ١/ ١٢، والاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/ ٨٨٥، وعلوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، المراغي، أحمد مصطفىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٦٩، ومعجم البلاغة العربية، طبانة، بدوي، دار المنارة، للنشر والتوزيع، جدة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ص٥٤٦.

(٢) البرهاني ما كان مادته يقينية، انظر الرد علىٰ المنطقيين، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي (٧٢٨هـ) تقديم السيد سليمان الندوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ص٥.

(٣) مناهج الجدل في القرآن الكريم، الألمعي، زاهر بن عواض، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٣٣هـ، ص٩٣.

(٤) انظر الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور، ابن الجزري، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: الدكتور مصطفىٰ جواد، والدكتور جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ص١١٤، ومغني اللبيب، ابن هشام، ١/ ١٢. والإيضاح للقزويني، ص١٤٢، ومعجم البلاغة العربية، طبانة، ص: ٥٤٦، وانظر علوم البلاغة، المراغي، ص٦٩.

آخر أيضـًا: الإنكار.

وهو قسمان: إِبطاليٌّ وحقيقيٌّ[1]:

فالإبطاليّ: أن يكون ما بعده الهمزة غير واقع، ومدعيه كاذب، نحو قوله: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾[الإسراء: ٤٠] وقوله: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الصافات: ١٥٣]. أي لم يصطفِ سبحانه أحداً، وقال تعالىٰ: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الصافات: ١٤٩] ، وهذا الاستفهام وإن كان للتكذيب، إلا أنه ما خلا معناه من التوبيخ والتقريع[2]، لذا ينص علماء البلاغة علىٰ أنه قد يجتمع مع الإنكار وتوبيخ أو تقريع.

والإنكار الحقيقيّ: ويسمّىٰ الإنكار التوبيخي، فيقتضي أن ما بعدها واقع، وأن فاعله ملوم، كقوله تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]. وقوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾[الصافات: ٩٥] وقوله: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنعام: ٤٠]، وقوله: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصافات: ٨٦] و قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الشعراء: ١٦٥] وقوله: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ [النساء: ٢٠] [3]، بمعنىٰ ما كان ينبغي أن يكون، وإما بمعنىٰ: لا ينبغي أن يكون، كقولك لرجل يضيع الحق: أتنسىٰ قديم إحسان فلان إليك؟ والغرض منه تنبيه السامع حتىٰ يرجع إلىٰ نفسه فيخجل ويرتدع عن فعل ما همّ به.

ويشترط في سؤال الإنكار أن يلي المنكَرُ الهمزةَ ـ كما في التقرير ـ والمعنىٰ فيه

---

(١) انظر مغني اللبيب، ابن هشام، ١/ ١١، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٣٤٥، ومفتاح تلخيص المفتاح، الخلخالي، ٣٥٥، وعلوم البلاغة، المراغي، ص٦٩.

(٢) انظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، الحلبي، ابن السمين أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق. ٧/ ٣٥٨.

(٣) انظر مغني اللبيب، ابن هشام، ص١٢، والبرهان، الزركشي، ٢/ ٣٤٦، ومفتاح تلخيص المفتاح، الخلخالي، شمس الدين، محمد بن مظفر، الخطيبي، (٧٤٥هـ) تحقيق أ.د. هاشم محمد هاشم محمود، ، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ٢٠٠٦م، ص٣٥٤.

علىٰ النفي، وأن ما بعد الأداة منفي[1]، كإنكار الفعل في قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفيُّ مُضاجعي ** ومسنونةٌ زُرقٌ كأنياب أغوالِ

فهذا تكذيب منه لإنسان يهدده بالقتل[2]، وقد ولي الهمزة.

وأما إنكار الفاعل، فكما في قوله تعالىٰ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

الجواب ليس هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها.

وأما المفعول: فكما في قوله تعالىٰ: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠﴾ [الأنعام: ٤٠]. والمقصود إنكار ما دخلت عليه الهمزة، فغير الله لا يدعىٰ، وهو إنكار توبيخي[3].

وقد صحح ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ) ثمانية معانٍ تخرج إليها الهمزة عن معناها الحقيقي، وهي: التسوية، والإنكار الإبطالي، والإنكار التوبيخي، والتقرير، والتهكم، والأمر، والتعجب، والاستبطاء، قال: وذكر بعضهم معانيَ أخر لا صحة لها.[4].

بينما ذكر الزركشي (٧٩٤هـ) ثمانية عشر معنىً، وأوصلها السيوطي (٩١١هـ) إلىٰ اثنين وثلاثين معنىً[5].

---

(١) انظر البرهان، الزركشي، ٢/ ٣٢٨، والاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/ ٨٨٤.

(٢) انظر الجامع الكبير، ابن الأثير، ص١١٦.

(٣) انظر الجامع الكبير، ابن الأثير، ص١١٥، والإيضاح، القزويني، ص١٤٣، ومعجم البلاغة العربية، طبانة، ص٦٨٩-٦٩٠.

(٤) انظر مغني اللبيب، ابن هشام، ١/ ١٠-١٣.

(٥) انظر البرهان، الزركشي، ٢/ ٣٤٤، والاتقان، السيوطي، ٢/ ٨٨٤-٨٨٩. وانظر معاني الاستفهام في مفتاح العلوم، السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (٦٢٦هـ) مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ص١٥٠، مفتاح تلخيص المفتاح، الخلخالي، ص٣٥٢_ ٣٥٦، وملخص تلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الأنصاري، ص١١٦، والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص ١٤٦. والكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، الكفوي، أيوب بن موسىٰ الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (ت١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص٩٨.

المسألة الثانية: موقف المتكلمين من الاحتجاج بنصوص الوحي.

بعث الله عز وجل الرسل وأنزل الله سبحانه وتعالىٰ الكتب هداية للناس، وليكون حجة عليهم، وشاء الله عز وجل وحكم أن يكون القرآن الكريم خاتم كتبه علىٰ خاتم رسله، لذا لم يترك الله سبحانه وتعالىٰ فيه أي شيء يسترشد الناس به إلا أرشدهم إليه، وأهم ذلك وأعظمه مسألة معرفة الله تعالىٰ، والدليل علىٰ وجوده وإثبات ذلك، فلم يترك الله سبحانه الناس يتيهون في أهم مسألة يترتب عليها الشقاء والسعادة، بل أرشدهم لأيسر السبل وأقواها لمعرفته، ومعرفة أسمائه وصفاته وعبادته.

ولقد امتاز القرآن الكريم بكثرة الأدلة لتقرير هذا الأصل الاعتقادي، بالرغم من أنها مسألة بدهية فطرية، إلا أن القرآن لم يهملها بل نوّع الأساليب لأثباتها لما يترتب عليها من أصول أخرىٰ كتوحيد الألوهية والنبوات والمعاد.

وتمتاز هذه الأدلة بكونها يقينية سهلة التناول، ويسيرة الفهم لا تشوبها تعقيدات المتكلمين ولا مقدماتهم، بأسلوب بليغ موجز خالٍ من الحشو، ومنزه من الخلل والتناقض.

وقد بيّن الإمام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) بـ« أن الكتاب - والرسول - وإن كان يخبر أحياناً بخبر مجرد، كما يأمر أحياناً بأمر مجرد، فهو يذكر مع إخباره عن الله تعالىٰ وملائكته وكتبه ورسله، من الدلالة والبيان والهدىٰ والإرشاد، ما يبين الطرق التي يعلم بها ثبوت ذلك، وما يهدي القلوب ويدل العقول علىٰ معرفة ذلك، ويذكر من الآيات والأمثال المضروبة، التي هي مقاييس عقلية وبراهين يقينية، ما لا يمكن أن يذكر أحد من أهل الكلام والفلسفة ما يقاربه، فضلاً عن ذكر ما يماثله أو يفضل عليه.

ومن تدبر ذلك رأىٰ أنه لم يذكر أحد - طريقاً عقلياً يعرف به وجود الصانع، أو شيء من أحواله - من أهل الكلام والفلاسفة إلا وقد جاء القرآن بما هو خير منه وأكمل وأنفع وأقوىٰ وأقطع، بتقدير صحة ما يذكره هؤلاء»[1].

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية الحراني الدمشقي، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت =

قال ابن أبي العز الحنفي (ت٧٩٢هـ): «والقرآن قد ضرب الله للناس فيه من كل مثل، وهي المقاييس العقلية المفيدة للمطالب الدينية، لكن القرآن يبين الحق في الحكم والدليل، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟

وما كان من المقدمات معلومةً ضروريةً متفقـًا عليها، استُدِل بها، ولم يحتج إلىٰ الاستدلال عليها. والطريقة الصحيحة في البيان أن تحذف، وهي طريقة القرآن، بخلاف ما يدعيه الجهال، الذين يظنون أن القرآن ليس فيه طريقة برهانية، بخلاف ما قد يشتبه ويقع فيه نزاع، فإنه يبينه ويدل عليه»[١].

وهذا الظن السيء بالقرآن الكريم وادّعاؤهم خلوّه من الطريقة البرهانية أصلاً هو الذي دفعهم للالتماس البرهان من كتب الفلاسفة والمتكلمين، «وحصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب مضمومًا إلىٰ ما حصل من التقصير والتفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة»[٢].

وكثير من أهل الكلام يعتقدون أن مسألة الوحدانية لا تعلم إلا بالعقل، لأنهم يعتقدون أن السمع هو مجرد إخبار الصادق، وخبر الصادق الذي هو النبي لا يعلم إلا بعد العلم بهذه الأصول بالعقل، ثم هؤلاء لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة علىٰ نقيض قولهم لظنهم أن العقل عارض السمع ـ وهو أصله ـ فيجب تقديمه عليه[٣]، والسمع إما أن يؤول أو يفوض، وهذا ما قرره وصرح به القاضي المعتزلي

=

٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام، السعودية، ط٢، هـ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م. ٧/ ٣٥٢.

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م. ١/ ٣٨.

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ. ٢/ ٣٣٩.وانظر شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ١/ ٥٥.

(٣) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي (ت٤١٥هـ) تحقيق الدكتور خضر محمد نبها، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م، ١٧/ ٩٣ـ٩٤.

عبد الجبار (ت٤١٥هـ)، حيث يقول:

"ومعرفة الله لا تنال إلا بالنظر في حجة العقل، لأنه متىٰ لـم نعرفـه، وأنـه صـادق لم نعلم صحة الكتاب والسنة والإجماع"[1]، ودخل هذا الداء إلىٰ الأشـاعرة، فتبعـه القاضـي الأشـعري البـاقلاني(٤٠٣هـ)[2] والجـويني (٤٧٨هـ) وغيـرهم[3]. حتـىٰ وصـل للمتـأخرين مـنهم، قـال البـاجوري (١٢٧٦هـ)[4] في حاشـيته علـىٰ جـوهرة التوحيد: "الصفات علىٰ ثلاثـة أقسـام: القسـم الأول: مـا لا يصـح الاسـتدلال لـه إلا بالدليل العقلي، وهو ما توقفت عليه المعجزة من الصفات، كوجوده تعالىٰ، وقِدَمه، وبقائه، وقيامه بنفسه.."[5].

بل إنهم أيضـًا عنـد التحقيـق لا يقبلـون الاسـتدلال بالكتـاب والسـنة علـىٰ وفـق قولهم[6]، إلا من باب التنزّل والاحتجاج علىٰ الخصم. وقد صرّح القاضي المعتزلي عبد الجبار بذلك فقال: "لـيس الاحتجـاج بـذلك في إثبـات التوحيـد والعـدل، وإنمـا

(١) الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي، (ت٤١٥هـ) حققه: د. فيصل بدير عون، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٩٨م. ص٦٦.

(٢) انظر الإنصـاف، البـاقلاني، أبـو بكـر محمـد بـن الطيـب البصـري، ثـم البغـدادي، (ت ٤٠٣هـ.) تحقيـق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م. ص٢١ .

(٣) انظر: الشامل في أصول الدين، الجويني، إمام الحرمين عبد الملك بن عبـد الله (٤٧٨هـ)، حققـه: علـي سامي النشار، وآخرون، دار المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٩م. ص١٢٠.

(٤) هو الشيخ إبراهيم بن محمد الباجوري، ولد سنة ١١٩٧ه ببلـدة بيجـور مـن قـرىٰ مصـر ونشـأ فيهـا، ثـم ذهب إلىٰ الأزهر صغيراً، وتلقىٰ علومه فيه، وترقـىٰ حتـىٰ أصـبح شـيخـًا لـه، مـن أشـهر مؤلفاتـه شـرح جوهرة التوحيد، علىٰ طريقـة الأشـاعرة بالإضـافة لإفراطـه في التصـوف، (ت ١٢٧٦ه وقيـل ١٢٧٧)، انظر ترجمتـه: حليـة البشـر في تـاريخ القـرن الثالـث عشـر، البيطـار، عبـد الـرزاق، حققـه: محمـد بهجـة البيطـار، مطبوعـات مجمـع اللغـة العربيـة، بدمشـق، ١٣٨٠هـ، ١/ ٧-١٠، والأعـلام، الزركلـي، خيـر الدين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٩، ١٩٩٠م، ١/ ٧١.

(٥)شرح جوهرة التوحيد (تحفة المريد)، الباجوري، إبـراهيم بـن محمـد الشـافعي (ت١٢٧٦هـ)، حققـه: علي جمعة محمد الشافعي، دار السلام، مصر، القاهرة، ط١/ ١٤٢٢هـ. ٢٠٠٢م. ص٧٢.

(٦) انظر التدمرية، ابن تيميـة، تقـي الـدين أبـو العبـاس أحمـد بـن عبـد الحلـيم الحـراني الدمشـقي (المتـوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق د. محمـد بـن عـودة السـعوي، مكتبـة العبيكـان، الريـاض، ط٦ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ١٤٧-١٤٨.

نورده لنبيِّن خروج المخالفين عن التمسك بالقرآن"[١].

وبعضهم يجعل الأدلة القرآنية إنما تصلح للعوام فقط دون المحققين من العلماء[٢]، ولم يكتفِ هؤلاء بجهلهم بما في القرآن من أساليب البيان والبرهان، بل إن الأمر زاد حتىٰ أصبح التزهيد بما في القرآن علامة سائدة عند بعض علماء الكلام آخر الزمان، قال ابن الوزير اليماني رحمه الله[٣]: «نبغ في هذا الزمان من عادىٰ علوم القرآن، وفارق فريق الفرقان، وصنّف في التحذير من الاعتماد علىٰ ما فيه من التبيان في معرفة الديان، وأصول قواعد الأديان، وحثّ علىٰ الرجوع في ذلك إلىٰ معرفة قوانين المبتدعة واليونان، منتقصـًا لمن اكتفىٰ بما في معجز التنزيل من البرهان، مقبحـًا لتلقي كثير من محكماته بالقبول والإيمان»[٤].

وهذا من الضلال؛ فالقرآن بيّن من الدلائل العقلية التي تُعلم بها المطالب الدينية، ما لا يوجد مثله في كلام أئمة النظر، فتكون هذه المطالب شرعية عقلية[٥].

(١) المغني، القاضي عبد الجبار ١٧/ ٩٤.

(٢) وخير مثال علىٰ ذلك ما قاله الغزالي في إلجام العوام عن علم الكلام، الغزالي؛ أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، (ت٥٠٥هـ) تحقيق، المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥. ص١١٣ـ١١٤ وملخصه: أن التصديق يحصل للعوام بالأدلة الخطابية (وهي دون البرهانية) قال: "وذلك يُفيد في حق الأكثرين تصديقـًا باديَ الرأي وسابق الفهم، إن لم يكن المستمع مشغوفًا بتكلف المماراة والتشكيك.. وأكثر أدلة القرآن من هذا الجنس" ثم ضرب مثالين، في التشكيك في الأدلة القرآنية، ثم قال: "والدليل المستوفي هو الذي يفيد التصديق بعد تمام الأسئلة وجوابها، بحيث لا يبقىٰ للسؤال مجال، والتصديق يحصل قبل ذلك" (أي التصديق عند العوام يحصل قبل التشكيك) يدل علىٰ ذلك أن ما قبل هذه الصفحات وما بعدها يتكلم فيها عن التصديق عند العاميّ، هذا، وقد انتقد محقق الكتاب الأستاذ "المعتصم بالله البغدادي" جزاه الله خيراً، قول الغزالي هذا، وانظر ما نقله شيخ الإسلام في درء التعارض ٧/ ٣٦٠، عن الكيا الهراسي فإنه يماثله.

(٣) الإمام العلامة المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير اليماني ، نبغ في الأصلين، وصنف مصنفات مهمّة ، منها: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، وترجيح أساليب القرآن علىٰ أساليب اليونان وغيرها، توفي سنة ٨٤٠هـ، انظر ترجمته: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة – بيروت، ٢/ ٨١.

(٤) ترجيح أساليب القرآن علىٰ أساليب اليونان، ابن الوزير، أبو عبد الله محمد بن المرتضىٰ اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص٨.

(٥) انظر: التدمرية، ابن تيمية، ١٤٧-١٤٨.

و«القرآن العظيم قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره، فإنه الدليل والمدلول عليه، والشاهد والمشهود له. قال تعالىٰ لمن طلب آية تدل علىٰ صدق رسوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾» [العنكبوت: ٥١] [(١)].

هذا وقد اجتمع في القرآن كثير من الأدلة وجود الله تعالىٰ كدلالة الحس في الأنفس والآفاق ودلالة الاختراع والعناية وغيرها، فليس هو مجرد خبر عن الصادق بل هو خبر فيه نظر ومحاجة وبرهان ودليل لا يقاربه ولا يدانيه منطق اليونان وفلاسفتهم.

وهذا أوان الشروع في بيان الاستفهامات الواردة في القرآن الدالة علىٰ وجود الله تعالىٰ.

❊　　　❊　　　❊

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العزّ الحنفي، ١/ ٥٣.

المبحث الأول
الاستفهامات القرآنية الدالة على إثبات وجود الله بالطريقة العقلية.

جاء في القرآن الكريم أدلة عقلية، تعتمد على السبر والتقسيم الحاصر[1] الذي لا يدع مجالاً لاستدراك قسمة أخرى، فبه يحصل إبطال الباطل وإحقاق الحق، ويتعيّن الجواب الصحيح، الذي تقوم به الحجة العقلية، وقد جاء هذا في كتاب الله تعالى، كما في هذا الاستفهام.

المسألة الأولى: ذكر الدليل:

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور: ٣٥].

المسألة الثانية: نوع الاستفهام :

تأتي (أمْ) للإضراب بمعنى (بل)، وتسمّى: "المنقطعة" أي التي لا يفارقها الإضراب، وتأتي له مجرداً، وتارة متضمنة مع الإضراب معنى الاستفهام الإنكاري أو الطلبي، وهي ههنا هنا للاستفهام الإنكاري، فيكون التقدير: بل أَخُلِقُوا من غير شيء أم هم الخالقون؟[2].

ولكن نقل الرازيُّ (٦٠٦هـ) وغيرُه اتفاقَ المفسرين على أن (أم) ههنا ليست

---

(١) انظر عن السبر والتقسيم: شرح الكوكب المنير (المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه)، الفتوحي، محمد بن عبد العزيز بن علي ابن النجار (٩٧٢هـ) تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، طبع جامعة أم القرى، وتوزيع وزارة الشؤون الإسلامية في الرياض، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ٤/ ١٤٢، وانظر استخدامه في مجال الدليل العقلي العقدي: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، العريفي، سعود بن عبد العزيز، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الخُبر، السعودية، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ص١٣٣.

(٢) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ١/ ٤٤، والاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١/ ٤٨٥، وانظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ - ١٤١٨ هـ. ٥/ ١٥٥.

بمعنى (بل)، وأن جمهورهم على أن المراد ما وقع في صدر الكلام من الاستفهام إما بالهمزة، كأنه يقول: "أَخُلِقوا من غير شيء" أو هل خلقوا من غير شيء؟

ويحتمل أن يقال: هو على أصل الوضع للاستفهام الذي يقع أثناء الكلام، وتقديره: أما خُلقوا؟ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون؟ فحذف قوله (أخلقوا)[1]، فتكون (أم) ههنا متضمنة معنى الاستفهام، ولكن ليس الذي يقع في صدر الكلام، إذ قد سبقها استفهام محذوف.

هذا وذهب كثير من المفسرين؛ إلى أنّ معنى الاستفهام في هذه الآيات: الإنكار الذي يتضمن نفي المستفهم عنه، والإنكار على من أثبته لظهوره وبيانه[2].

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله، وهم يعلمون أنه الخالق وحده، لا شريك له. ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك"[3].

وجوّز ابن عاشور رحمه الله (١٣٩٣هـ)[4] أن تكون الهمزة للتقرير وللإنكار، قال رحمه الله: "فحرْفُ (مِنْ) في قوله: ﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ يجوز أن يكون للابتداء، فيكون معنى الاستفهام المقدر بعد ﴿أَمْ﴾ تقريراً، والمعنى: أيقرون أنهم خلقوا بعد أن كانوا عدماً؟ فكما خلقوا من عدم في نشأتهم الأولى، ينشؤون من عدم في النشأة

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة –١٤٢٠ هـ.٢٨/ ٢١٥، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، عمر بن علي، الدمشقي النعماني، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م. ١٨/ ١٣٩ـ ١٤٠.

(٢) انظر: مسألة حدوث العالم، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، ثم الدمشقي (٧٢٨هـ)، تحقيق: يوسف بن محمد مروان الأوزبكي المقدسي، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م، ص٤٨، وشرح حديث النزول، ابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٥، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص٥٢، وانظر أيضاً: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٥/ ١٥٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ٧/ ٤٣٧.

(٤) العلامة المفسر الفقيه محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة، مولده ووفاته ودراسته في تونس، من مصنفاته (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (التحرير والتنوير) توفي سنة ١٣٩٣هـ. انظر الأعلام، الزركلي، ٦/ ١٧٣.

الآخرة، وذلك إثبات لإمكان البعث،... والمعنىٰ: أَخُلِقُوا من عدم؟

ويجوز أن تكون ﴿مِنۡ﴾ للتعليل، فيكون الاستفهام المقدر بعد ﴿أَمۡ﴾ إنكاريًا...والمعنىٰ: إنكار أن يكون خلقهم بغير حكمة،...ولحرف ﴿مِنۡ﴾ في هذا الكلام الوقع البديع إذْ كانت علىٰ احتمال معنييها دليلاً علىٰ إمكان البعث وعلىٰ وقوعه وعلىٰ وجوب وقوعه وجوبًا تقتضيه الحكمة الإلهية العليا. ولعل العدول عن صوغ الكلام بالصيغة الغالبة في الاستفهام التقريري، أعني صيغة النفي بأن يقال: أما خلقوا من غير شيء، والعدول عن تعيين ما أضيف إليه ﴿غَيۡرِ﴾ إلىٰ الإتيان بلفظ مبهم وهو لفظ ﴿شَيۡءٍ﴾، روعي فيه الصلاحية لاحتمال المعنيين وذلك من منتهىٰ البلاغة"[1].

وفيما يظهر لي من خلال أقوال العلماء وتقريراتهم أن الاستفهام ههنا للإنكار، وقد نص غير واحد علىٰ أن (أَمْ) مع كونها للإضراب تأتي للإنكار أو الطلب، ولم يذكروا أنها تأتي للتقرير[2]. والله أعلم.

المسألة الثالثة: تقرير المسألة:

بيّن شيخ الإسلام رحمه الله أن طرق العلم ثلاثة: "الحس والعقل وأخبار الأنبياء[3]" ولقد جاء القرآن الذي هو خبر بالطريقة العقلية التي تقنع من تدبرها بإنصاف ، وقد تميزت الطريقة العقلية التي جاء بها القرآن بأنها سهلة الفهم، ميسرة التناول، خالية من التعقيد ، والمقدمات الخفية الغامضة، بخلاف طرق المتكلمين التي تميزت بالغموض والخفاء بالإضافة للاضطراب، فضلاً عن المقدمات الخاطئة .

ومما جاء به القرآن من أدلة عقلية دالة علىٰ وجود الله تعالىٰ، مما هو علىٰ طريقة السؤال والاستفهام؛ قوله تعالىٰ:﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، ٢٧/ ٦٧-٦٨.

(٢) انظر: مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري النحوي، ١/ ٤٤، والاتقان، السيوطي ١/ ٤٨٥.

(٣) درء التعارض، ابن تيمية ١/ ٣٦٩.

﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور : ٣٥-٣٦].

قال البغوي (٥١٦هـ): «﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: من غير ربٍّ، وَمَعناه: أَخُلِقوا منْ غَيْرِ شَيْءٍ خلَقهم فوُجدوا بِلا خالق؟ وَذَلِكَ مِمَّا لَا يجوز أَنْ يَكون، لِأَنَّ تَعَلُّقَ الخلق بِالخالق مِنْ ضَرُورَةِ الِاسْمِ، فَإِنْ أَنْكروا الْخَالِقَ لَمْ يجُز أَنْ يُوجَدوا بِلا خالِقٍ، ﴿ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ لِأَنْفسهم؟ وَذلك فِي البطلَان أشدُّ، لأَنَّ ما لَا وجودَ له كَيف يَخلق؟

فَإِذَا بطل الوجهانِ قامتِ الحجَّةُ عليهم بأنَّ لهم خلقاً فلْيُؤمنوا به»[1].

وقد قرّر هذا المعنىٰ من خلال هذه الآية كثير من أئمة الإسلام والمفسرين، منهم الخطّابي (ت ٣٨٨ هـ)، والبيضاوي (ت٦٨٥هـ)، وابن تيمية (ت٧٢٨)، وأبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) رحمهم الله وغيرهم[2].

فمن المعلوم بالضرورة أن الحادث لابد له من مُحدث، وهذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة، لا ينازع فيها أحدٌ حتىٰ الصبيان؛ فإن الصبي لو ضربه ضاربٌ وهو غافل لا يبصره، لقال: من ضربني؟ فلو قيل له: لم يضربك أحد، لم يقبل عقله أن تكون الضربة حدثت من غير مُحدِث، بل يعلم أنه لابد للحادث من محدث، فكان في فطرته الإقرار بالصانع، وهذا مذكور في قوله تعالىٰ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾، أي أَخلقوا وأَحَدَثُوا من غيرِ مُحدِثٍ؟ أَمْ هم أَحدثوا أنفسَهم؟ لا هذا، ولا هذا، فالمحدَثَ لا يوجد نفسَه، والمحدَثُ ممكن الوجود، لم يكن موجوداً ثم وُجد، فليس له من نفسه وجود ولا عدم فلا يكون موجوداً بنفسه، بل إن حصل له ما يوجده وإلا كان معدوماً، وكل ما أمكن وجوده بدلاً عن عدمه، وعدمه

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (٥١٦هـ) تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ ، ١٤٢٠ هـ، ٧/ ٣٩٢.

(٢) انظر معالم التنزيل، البغوي ٧/ ٣٩٢، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٥/ ١٥٥، والبحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف أثير الدين (ت ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ، ٩/ ٥٧٥، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، ١٨/ ١٤٠.

بدلاً عن وجوده؛ فليس له من نفسه وجود ولا عدم لازم له، إذ لو كان وجوده بنفسه لكان واجباً بنفسه، ولو كان واجباً بنفسه لم يقبل العدم، وهو قد قبل العدم فليس موجوداً بنفسه، بل هو مفتقر في وجوده إلىٰ غيره الذي لا يفتقر إلىٰ أحد سبحانه وتعالىٰ[(١)].

وحينما سمع الصحابي الجليل جبيرُ بنُ مطعمٍ النبيَّ ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾، قال: "كاد قلبي أن يطير"[(٢)]، وكان وقتئذ مشركاً، فرسخت هذه السورة وهذه الآية في قلبه الذي كاد أن يتصدع[(٣)] ويطير، وكان لسماع هذه الآيات الأثر الكبير في دخوله الإسلام، فقال: "وذلك أولُ ما وقَر الإيمانُ في قلبي"[(٤)] فلما أذن الله له بالإسلام حدّث بهذه الحادثة، وذلك لما تحمل هذه الآية من معانٍ عظيمة، تقيم الحجة علىٰ سامعها، ولا تدع له مجالاً للجدال، بل تصدع قلبَه وتبْهتُه فلا يجد سبيلاً لحجة قائمةٍ، وتنفي كل شبهة هاجمة.

فقد جاءت هذه الآية بتقسيم حاصر ذكره الله بصيغة استفهام الإنكار، ليبين أن هذه المقدمات معلومة بالضرورة لا يمكن جحدها[(٥)].

وقد قرر شيخ الإسلام هذه المسألة في رسالته "مسألة حدوث العالم" ، فقال:

---

(١) انظر شرح حديث النزول، ابن تيمية رحمه الله (ص٢٨)، وشرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي (٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد السعودي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط٢، ١٤٣٣هـ، ص:٥٤_٥٥، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٤٣٧.

(٢) رواه البخاري في الجامع الصحيح، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، طبع وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، (ح ٤٨٥٤) ومسلم، الجامع الصحيح، النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، طبع وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، (ح٤٦٣) ولكن مقتصراً علىٰ الصلاة بالمغرب بالطور.

(٣) روىٰ رواية التصدع، أحمد في المسند، ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني (٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م (١٦٧٦٢، ١٦٧٨٥) وأبو داود الطيالسي في مسنده، المسند، الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (٢٠٤هـ)، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، (ح٩٨٥).

(٤) رواه البخاري (ح٤٠٢٣).

(٥)انظر: شرح حديث النزول، ابن تيمية، ص٥٢.

﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾؟ وهـذا اسـتفهام إنكـار يتضـمن نفـي المستفهم عنه، والإنكار علىٰ من أثبته لظهوره وبيانه، فتبيّن بذلك أنهم لم يخلقوا من غير شيء، أي من غير رب خالقٍ خلقهم، كما تبين أنهم لم يخلقوا أنفسهم.

فعلم بنفي هاتين القضيتين: أنهم خلقوا من خالقٍ خلقهم...لأن هذا التقسيم حاصر يتبيّن به ثبوت الخالق الصانع بأيسر تأمل، فإن العبد يعلم أنه لم يكن شيئًا، وأنه كان بعد أن لم يكن، ويعلم بداهة أنه لم يصنع نفسه ولم يبدعها، ويعلم أنه لم يكن من غير مكوّن، ولا حدث من غير محدِث، ولا خُلق من غير خالق خلقه، والعلم بهذا أيضًا من أبين العلوم البديهية، فتعيّن أن له خالقًا خلَقَهُ[1]، فتبيّن أنه يستحيل صدور الوجود من عدم.

وصورة هذا الدليل في الآية الفاذّة:

أنهم إما يكونوا خلقوا أنفسهم، وهذا باطل؛ لأنه يلزم منه الدور وهو باطل، حيث يترتب كلٌّ من الفرضين علىٰ الآخر، فكونهم خلقوا أنفسهم، يستلزم وجودهم قبل الخلق، إذ لا يصدر الوجود من العدم ضرورة.

وإما يكونوا لا خالق لهم أصلاً فيكون العدم هو الذي أوجدهم، وهذا باطل، إذ لا معنىٰ للعدم إلا عدم الوجود؛ فيلزم من قولهم بهذا الفرض الجمع بين النقيضين - وهو كون الشيء موجوداً معدوماً - والوجود والعدم نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان.

والفرض الثالث: أن يكون لهم خالق وهو الله سبحانه وتعالىٰ.

والطريقة القرآنية أفضل - بلا ريب - من طريقة المتكلمين في إثبات الصانع حيث جعلوا العلم بالصانع متوقفًا علىٰ العلم بحدوث العالم، والعلم بحدوث العالم متوقفًا علىٰ العلم بحدوث الأجسام، وجعلوا الطريق إلىٰ ذلك الاستدلال بحدوث الأعراض، وبنَوا ذلك علىٰ مقدمات باطلة أوقعت أصحابها في مخالفة الشرع والعقل، ثم إنهم حصروا إثبات الصانع بهذه الطريقة.

---

(١) انظر: مسألة حدوث العالم، ابن تيمية، ص٤٨-٤٩.

وإثبات الصانع له طرق تكاد تخرج عن الحصر، كلها أبين وأظهر من إثبات حدوث العالم، ولهذا لم يثبت القرآن العلم بالصانع بهذه الطريق، بل بالطرق المعروفة فيه، كما هو مذكور في قوله: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ فهذا من أوجز الطرق وأظهرها، وهي استدلال الإنسان بنفسه، التي لا شيء أقرب منها، وكذلك استدلاله بما يذكره من خلق سائر المخلوقات[1].

ومن خلال دراسة هذا الاستفهام يتضح لنا أنه جاء إنكارياً ليبين أن هذه المقدمات من السبر والتقسيم، معلومة بالضرورة لا يمكن جحدها ولاتكذيبها، وأن النفوس كلها خلقت مجبولة مقرة بخالقها وفاطرها، وقد ظهر أن هذا التقسيم حاصر، يحصل به إبطال الباطل وإحقاق الحق، ولا يمكن معه استدراك قسمة أخرى، بل يتعيّن به القسم الصحيح، الذي تقوم به الحجة العقلية، كما ويتيعن به الجواب السليم، ولا يدع مجالاً لمتشكك، ولا عذراً لمخاصم زائغ أو معاند، فيدفع العقول السوية السليمة للتسليم، ويضطرها للقبول، ويُلجئ الأفكار المستقيمة للانقياد.

❊ ❊ ❊

(١)انظر المصدر نفسه، ص ٥٠-٥٤.

المبحث الثاني: الاستفهام في دلالة النفس والخلق

المسألة الأولى: سرد الدليل:

جاءت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى فيها الحث على التأمل في النفس والخلق، ومن ذلك ما جاء بصيغة الاستفهام، التي تفيد معنى أكثر من مجرد "الأمر" بالتفكر والتأمل، قال تعالى:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ١-٣]. وقال الله تعالى:﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝٦٧﴾ [مريم، الآية ٦٧].

المسألة الثانية: نوع الاستفهام في هذه الآيات:

الاستفهام بـ(هل) بابه المشهور به هو الاستفهام المحض، ويأتي للتقرير أحيانـًا، وقد نص غير واحد على أنه في هذه الآية للتقرير أو فيه معنى التقرير(١)، وهو ما ذهب إليه أكثر المفسرين؛ من أنَّ المقصود بـ(هل) ههنا (قد) ، وبعضهم نقل الاتفاق على ذلك، فيكون معنى الآية: قد أتى على الإنسان حين من الدهر(٢)، وهذا ما ورد عن

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري؛ محمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبو جعفر(ت٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م، ٢٣/ ٥٢٩، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ، ٥/ ٤٠٨، والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، ابن أبي طالب، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني ثم القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق جماعة من الباحثين، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ١٢/ ٧٩٠١، وغيرهم.

(٢) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ٤/ ٣٩٨، وتأويلات أهل السنة، الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - =

ابن عباس وقتادة[١].

فإن (هل) تكون خبراً وتكون جحداً، فهذا من الخبر؛ لأنك تقول: هل أكرمتُك؟ وقد أكرمتَه، وتقول: هل وعظتك؟ هل أعطيتك؟ فتقرّرهُ بأنك قد فعلتَ ذلك، وقد تكون جحداً في غير هذا الموضع، كأن تقول: هل يقدر أحد علىٰ مثل هذا؟ بمعنىٰ: أنه لا يقدر، وهذا قول المفسرين وأهل اللغة[٢].

ويبين أبو حيان رحمه الله (٧٤٥هـ) تعليل ذلك فيقول: "قيل: لأن الأصل: أَهَلْ، فكأنّ الهمزةَ حُذفت واجتزئ بها في الاستفهام، ويدل علىٰ ذلك قوله:

سَائِلْ فَوَارِسَ يَرْبُوعٍ لِشدَّتِنَا ... أَهَلْ رَأَوْنَا بوَادِي القِفِّ ذِي الأَكَمِ؟

فالمعنىٰ: أَقَدْ أتىٰ علىٰ التقرير والتقريب جميعاً[٣]، أي أتىٰ علىٰ الإنسان قبلَ زمانٍ قريبٍ حينٌ من الدهر لم يكن كذا؟ فإنه يكون الجواب: أتىٰ عليه ذلك وهو

=

٢٠٠٥م، ١٠/ ٣٥٧، وتفسير ابن فورك، ابن فورك محمد بن الحسن الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، ٣/ ١٠٣، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م، ١٠/ ٩٣، وتفسير القرآن، السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم، وغيره، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ٦/ ١١٢، والرازي (٦/ ٥٠٢) (٣٠/ ٧٣٩)، ونقل الاتفاق علىٰ ذلك، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، ٣/ ٢٠ فما بعدها، الدر المصون (٢/ ٥١٦) ووقع في التسهيل لعلوم التنزيل، الكلبي، ابن جزي أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي (ت ٧٤١هـ) د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم، بيروت، ط١- ١٤١٦ هـ. ٢/ ٥١٧: هل بمعنىٰ (قل) ويظهر أنها مصحّفة من (قد) والله أعلم.

(١) انظر البحر المحيط، أبو حيان، ١٠/ ٣٥٨.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٥٢٩، ومعاني القرآن، الفراء، أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله الديلمي، (٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد بن يوسف النجاتي، وغيره، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط١، ٣/ ٢١٣، وزاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ، ٨/ ٤٢٧، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني، وآخر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م، ١٩/ ١١٩.

(٣) وانظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ٥/ ٢٦٩.

بالحال المذكور»[1].

وقيل: إنها على بابها من الاستفهام المحض، أي: هو ممن يسأل لغرابته أأتى عليه[2] حين من الدهر لم يكن كذا؟ فإنه يكون الجواب: أتى عليه ذلك وهو بالحال المذكورة.

وينبغي أن يكون معنى هذا الاستفهام التقرير؛ لأن الاستفهام لا يَرِدُ من الباري - تعالى - على النحو المحض، وهو تقرير لمن أنكر البعث، فلا بد أن يقول: نعم قد مضى دهرٌ طويل لا إنسان فيه، فيقال له: من أحدثه بعد أن لم يكن وكوّنه بعد عدمه؟ كيف يمتنع عليه بعثه؟ وإحياؤه بعد موته؟[3].

"وهل من الله واجبٌ، وحقُّه أن ينظر أن لو كان مثل هذا الكلام من مستفهم، ما الذي كان يقتضي من الجواب؟ فإذا قال أحد: هل أتاك حديث فلان؟ فحق المجيب أن يقول إن كان قد أتاه حديث فلان: قد أتاني، وإن كان لم يأته فحقه أن يسأله: كيف كان حديثه؟ ليعرفه.

فإن كان رسول الله ﷺ قد أتاه خبر الإنسان، فمعنى قوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾، أي: قد أتى على الإنسان، وإن لم يكن أتاه، فحقه أن يسأل حتى يتبين له"[4].

وأما قوله سبحانه: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٦٧]. فالاستفهام فيه للإنكار[5] والتوبيخ، فكما خلقناه من غير شيء، وأوجدناه من عدم، كذلك نحييه بعد مماته. وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا

(١) البحر المحيط، أبو حيان، ١٠/ ٣٥٨، وكلامه مجتزأ من الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ٤/ ٦٦٥.

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٢/ ٥١٧، وانظر أيضاً: النكت والعيون (تفسير)، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٦/ ١٦١، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/ ١١٩.

(٣) انظر اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، ٤/ ١٩_٢٠.

(٤) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ١٠/ ٣٥٧.

(٥) انظر الكشاف، الزمخشري، ٣/ ٣٢.

مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ [يس: ٧٨][١].

المسألة الثالثة: تقرير المسألة:

جاء القرآن الكريم باستخدام دليل الحس والمشاهدة الدال علىٰ وجود الله تعالىٰ[٢]، فما يشهده الإنسان ويحسه من مخلوقات الله تعالىٰ وتدبيره لخلقه، بدءاً من نفسه وانتقاله من طور لآخر، إلىٰ خلق سائر الموجودات التي يراها الإنسان من حيوانات ونباتات، فإذا فكر العبد في ذلك كلِّه لم يجد لنفسه في ذلك أيَّ تأثير، وكذلك الأمر فيما حوله من كائنات، فيستدل بعجزه علىٰ أن هناك من تولَّىٰ أحوالَه، ودبَّرها من حين لم يكن شيئًا مذكوراً، إلىٰ أن تدرج في العُمُر حتىٰ وصل إلىٰ منتهاه.

وهذا الذي بيَّنه الله تعالىٰ في كتابه بصيغة الاستفهام، منبهًا العباد علىٰ تأمل ما في أنفسهم من آياته ونعمه وآلائه: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ١-٣]، والاستفهام ههنا للتقرير ــ كما تقدم ــ: جوابه نعم قد مضىٰ دهر طويل لا إنسان فيه، فيقال له: من أحدثه بعد أن لم يكن وكوّنه بعد عدمه؟[٣]، والجواب: الله سبحانه وتعالىٰ الذي أوجده، ولا يصح في عقل عاقل أن يوجد الشيءُ المعدومُ إلا بمُوجِد يوجده، فإن المعدوم لا يوجد نفسه، فهو كاسمه معدوم، فإذاً لا بد له من موجِدٍ أوجده من العدم، فالذي أوجده من العدم يستطيع إحياءه بعد إعدامه، وهذه الآية وإن كانت واردة في تقرير البعث، إلا أن دلالتها علىٰ وجود الله تعالىٰ وإيجاده للخلق ظاهرة، وهذه الدلالة هي دلالة اللزوم، إذ يلزم أن من يقرّ بالبعث أن يقرّ بالنشأة الأولىٰ، ويلزم من يقرّ بمحيي الموتىٰ أن يقرّ

(١) انظر الهداية إلىٰ بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ٧/ ٤٥٦٩.

(٢) انظر منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد، البريكان، إبراهيم بن محمد بن عبد الله، دار ابن القيم، الرياض، دار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤. ص٤٤٨.

(٣) انظر اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، ٤/ ١٩_٢٠.

بالمبدع الأول، والنشأة الأولىٰ.

وقال الله تعالىٰ ـ بصيغة الاستفهام أيضـًا ـ:﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم : ٦٧].خاطب الله تعالىٰ الإنسان بما يقيم عليه الحجة، ويتميّز به عن غيره من سائر المخلوقات، ممن لا يذكر، لأن الإنسان «يتميز بالعقل وكان عليه أَن يتذكر أَن الله سبحانه خلقه من العدم وأنه برز إلىٰ الحياة بعْدَ أَنْ لم يكن شيئًا مذكورًا، كما قال سبحانه لعبده ورسوله زكريا:﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾ [مريم: ٩]»[1] .فدلت الآية علىٰ الخالق الموجد أول مرّة، وعلىٰ المحيي للموتىٰ في النشأة الآخرة، فكل ما دلّ علىٰ أن الله قادر علىٰ إحياء الموتىٰ؛ دلّ علىٰ أنه خالقهم أول مرة، وكلّ ما دلّ علىٰ أنه خالقهم أوّل مرة يستدلّ به علىٰ أنّه قادر علىٰ إحيائهم وإنشائهم مرةً أخرىٰ.

قال شيخ الإسلام: «فقد شهدنا إبداعَ هذه الحقائق الموجودة وصفاتها بعد أن لم تكن موجودة، كما قال تعالىٰ:﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾...وشهدنا أنها تُخْلَق من أوضع الأشياء وأحقرها وأبعدها عن صفات الكمال كخلق الإنسان من تراب، كما قال الشاعر:

الذي حارت البرية فيه ❊❊ حيوان مستحدث من جماد[2].

وهذا الذي شهدناه من أبلغ الإبداع أنه يخلق من الشيء ما لا يكون مجانسًا له، ولا يكون الأصل مشتملاً علىٰ ما فيه الفرع من الصفات، فهذه الأمور المخلوقة التي لم تكن موجودةً في أصلها ولا كامنةً فيه هي مبدَعةٌ بعد العدم»[3].

---

(١) الوسيط، الواحدي، ٦/ ٩٨٧.

(٢) البيت لأبي العلاء المعري، انظر مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله، أحمد بن يحيىٰ القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ)، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط١، ١٤٢٣ هـ، ١٥/ ٧٧٨، ومعاهد التنصيص علىٰ شواهد التلخيص، العباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح (ت: ٩٦٣هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١/ ١٣٥.

(٣) بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، ٢/ ٢٦٩-٢٧٠.

وقد حثّ الله تعالىٰ علىٰ التأمل في النفس لدلالتها علىٰ وجود الخالق المبدع وعظمته، ومن ذلك ما جاء بصيغة الاستفهام، فقال سبحانه: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨﴾ الآيات[القيامة: ٣٦-٣٨] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ٢١ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢٢ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ٢٣﴾ [المرسلات: ٢١-٢٣] وَقَالَ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧﴾ [يس: ٧٧].

قال أبو الشيخ (٣٦٩هـ)[١] في كتابه العظمة: «ذِكْرُ نوعٍ من التفكر في عظمة الله عز وجل، ووحدانيته، وحُكمِهِ، وتدبيره، وسلطانه قال الله عز وجل: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١] فإذا تفكر العبد في ذلك استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمراتُ الشكِ، وظلمةُ الريب، وذلك إذا نظر إلىٰ نفسه وجدها مكَوَّنةً مكنونةً مجموعةً مؤلفةً مجزأة منضدة مصورة متركبة بعضها في بعض، فَيَعْلم أنه لا يوجد مدبَّر إلا بِمدَبِّر، ولا مكوَّن إلا بِمكوِّن، وتجد تدبير المدبِّر فيه شاهداً دالا عليه، كما تنظر إلىٰ حيطان البناء وتقديرها، وإلىٰ السقف المسقف فوقه بجذوعه، وعوارضه، وتطيين ظهره، ونصب بابه، وإحكام غلقه، ومفتاحه للحاجة إليه. فكل ذلك يدل علىٰ بانيه، ويشهد له، فكذلك هذا الجسم إذا نظرت إليه، وتفكرت فيه وجدت آثار التدبير فيه قائمة شاهدة للمدبر دالة عليه"[٢].

(١) الإمام الحافظ الثبت الثقة أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، صاحب التصانيف الشهيرة، منها: العظمة، وأخلاق النبي ﷺ (المتوفىٰ: ٣٦٩هـ) عن ٩٥سنة. انظر ترجمته: سير الأعلام، الذهبي، ١٦/ ٢٧٦، وشذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ٤/ ٣٧٣.

(٢) العظمة، الأصبهاني، أبو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر الأنصاري (ت ٣٦٩هـ)، تحقيق: رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، ١/ ٢٧٢-٢٧٣.

وقال ابن القيم (٧٥١هـ):

"وهذا كثير فِي القرآن يَدْعُو العَبْد الىٰ النّظر والفكر فِي مبدأ خلقه ووسطه وَآخره إِذْ نَفسه وخلقه من أعظم الدَّلَائِل علىٰ خالقه وفاطره وأقرب شَيْء الىٰ الانسان نَفسه، وَفِيه من الْعَجَائِب الدَّالَّة علىٰ عَظمَة الله مَا تَنْقَضِي الاعمار فِي الْوُقُوف علىٰ بعضه وَهُوَ غافل عَنهُ معرض عَن التفكر فِيهِ، وَلَو فكر فِي نَفسه لزجره مَا يعلمُ من عجائب خلقهَا عَن كفره، قَالَ الله تَعَالَىٰ:﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾ [عبس: ١٧-٢٢][(١)].

وقال: «وَإِذا تَأَمَّلت مَا دعا الله سُبْحَانَهُ فِي كِتَابه عباده الىٰ الْفِكر فِيهِ أوقعك علىٰ الْعلم بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبوحدانيته، وصفات كَمَاله، ونعوت جَلَاله..»[(٢)].

وكما أنه حثّ الله سبحانَهُ وتعالىٰ علىٰ التأمّل في خلق النفس وأطوارها، فإنه حثّ علىٰ التأمّل في آيات الكون، وعموم الخلق المرئي، كالسماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، فما يحدث ويتجدد في العالم من طلوع القمرين والكواكب وغروبها، ودوران الأفلاك، والسفن الجاريات، والرياح الذاريات، وإنزال الأمطار علىٰ الوهاد، ورؤوس الجبال، وكذلك ما تدركه الحواسّ؛ من تغيّر الفصول والأحوال، وما ينشأ عن ذلك من الحرارة والبرودة، والرطوبة اليبوسة، وما يدركه السمع؛ من الأصوات الجميلة كأصوات الطيور، أو الرهيبة المخيفة، كأصوات الرعد، أو المزعجة المنكرة كصوت الحمير، وغير ذلك، كلّ ذلك دالّ علىٰ متصرف مدبر[(٣)].

يدل علىٰ ذلك: الاستفهام الوارد للتنبيه كما في قوله تعالىٰ:﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين (ت٧٥١هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ط٢، ١٤٣٦هـ، ٢/ ٥٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ٢/ ٥٣٨.

(٣) انظر: ترجيح أساليب القرآن علىٰ أساليب اليونان، ابن الوزير، ص٩٥.

يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾﴾ [لقمان:٢٩].

وقال بصيغة الاستفهام الدالة علىٰ التنبيه والتقرير الذي لا يمكن إلا الاعتراف به:﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور: ٤٣]. فهذا صنعه سبحانه في ملكوت السَّمَوَات، وتسخيره ما فيها لأهل الأرض، كما ندب سبحانه النظر في الأرض التي نعيش عليها، ونعرف النعم التي فيها، فقال:﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء: ٧-٩] .فهذا تقرير لما لا يمكن إنكاره وجحده، يستخرج به الله سبحانه وتعالىٰ كمائن النفوس لتقرّ به عز وجلّ، وتفردَهُ بالعبادة.

وهذا في كتاب الله تعالىٰ كثير يبين خلق الأشياء بعضها من بعض، وببعض، وفي بعض، ويقررنا بصيغة الاستفهام أنا نرىٰ ذلك ونشهده كقوله تعالىٰ:﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ إلىٰ قوله:﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾﴾ [يس: ٧١-٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

ونحن إذ نشاهد حدوث المحدثات كالحيوان، والمعدن، والنبات؛ نعلم أنها حدثت بعد العدم، ونعلم أيضـًا أننا نحن حادثون بعد عدمنا، وأن السحاب حادث، والمطر حادث، وأمثال ذلك من الآيات التي نبّه الله ـ تعالىٰ ـ عليها، فإذا عرف العاقلُ تجَدُدَ هذه الأمور وتغيّر هذه الأحوال، وعَجْزَ الخلق عنها؛ عرف معرفة ظاهرة أن لها محدثـًا مخالفـًا لها لا يشبهها، لا يعتريه النقص والزوال، وعُلم ضرورةً أن هذه الحوادث المشهودة يمتنع أن تكون واجبة الوجود بذاتها؛ فإن ما وجب وجودُه بنفسه امتنع عدمه ووجب قدمه، وهذه كانت معدومة ثم وجدت، فدلّ وجودها بعد

عدمها علىٰ أنها يمكن وجودها ويُمكن عدمها، فإن كليهما قد تحقق فيها، فنقول حينئذ: الموجود والمحدث الممكن لابد له من مُوجِدٍ قديمٍ واجبٍ بنفسه، فإنه يمتنع وجودُ المحدَث بنفسه، كما يمتنع أن يَخلقَ الإنسان نفسَهُ، وهذا من أظهر المعارف الضرورية؛ فإن الإنسان ليس بخالقٍ نفسَه، بل وجد نفسه مخلوقـًا بصفاته سواء أحبّها ورضي بها أم أنه لم يحبّها ولم يرضَ بها، فلا يقدر أن يزيد في ذاته عضواً ولا قدْرًا، فلا يقصّر الطويل ولا يطول القصير، ولا يجعل رأسه أكبر مما هو ولا أصغر، وكذلك أبواه اللذان كانا سبب وجوده، لا يقدران علىٰ شيء من ذلك [(1)].

❊ ❊ ❊

(1) انظر بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، ٢/ ٢٦٨. وشرح حديث النزول، ابن تيمة، ص٢٨، والتدمرية، ابن تيمية، ص٢٠، ومفتاح دار السعادة، ابن القيم، ٢/ ٥٦٠. وترجيح أساليب القرآن، ابن الوزير، ص٩٥.

المبحث الثالث: دليل العناية والاختراع ونحوهما[١]

المسألة الأولىٰ : سرد الدليل :

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف : ١٨٥]، وقال:﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ -إلى قوله- ﴿وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ: ٦-١٦] وقال:﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية، الآية ١٧-٢٠].

المسألة الثانية: نوع الاستفهام:

الاستفهام في قوله تعالىٰ:﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ﴾ «توبيخ للكفار وتقرير»[٢] وقيل : هو "للتعجب عن إعراضهم عن النظر في آياته"[٣]. ولا مانع أن تكون هذه المعاني كلّها مقصودة في هذا الاستفهام، وقد تقدم في التمهيد أن ذلك سائغ عند البلاغيين.

وأما الاستفهام في قوله تعالىٰ :﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا﴾ فهو للتقرير بما بعده[٤]، فالمعنىٰ: أجعلنا الأرض مهاداً، ولذلك سيعطف عليه وخلقناكم أزواجـًا، ولا يسعهم إلا الإقرار به، قال تعالىٰ:﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

---

(١) ذكر هذين الدليلين ابن رشد في مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد القرطبي، محمد بن أحمد الحفيد، تقديم وتحقيق: محمود قاسم، عميد دار العلوم، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٦٤م، ص١٥٠، وما بعدها، ونقلهما عنه شيخ الإسلام، انظر بيان تلبيس الجهمية، ١/ ٤٩٤_٥٠٠، وأقره علىٰ مجمل استدلاله في ذلك.

(٢)المحرر الوجيز، ابن عطية ٢/ ٤٨٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧/ ٣٣٠.

(٤) إعراب القرآن وبيانه، درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفىٰ (ت ١٤٠٣هـ) دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، دار اليمامة و دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ، ١٠/ ٣٥١.

ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥][1] فالله قد جعل الأَرض التي تسكنونها موطأَة لكم كالفراش ممهدةً للاستقرار عليها، وجعلها ميسّرة السبل للسير في أَنحائها، والانتقاع بسهولها الواسعة، والاستمتاع بجبالها الراسية، واستخراج كنوزها المتنوعة، ففي هذا الاستفهام من التقرير بالفضل، والتذكير بالنعم السابغة، ومعرفة المنعم، وفيه أيضـًا من التهديد والوعيد لمن كفر به.

قال ابن جرير (٣١٠هـ): "يقول تعالىٰ ذكرُه معدّداً علىٰ هؤلاء المشركين نعمه وأياديه عندهم، وإحسانه إليهم، وكفرانهم ما أنعم به عليهم، ومتوعدهم بما أعدّ لهم عند وُرُودِهم عليه، من صنوف عقابه، وأليم عذابه، فقال لهم: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ لكم ﴿مِهَٰدًا﴾ تمتهدونها وتفترشونها؟" [2].

المسألة الثالثة: أقوال العلماء في دلالة الآيات وغيرها علىٰ المسألة:

ذكر المفسرون والعلماء تحت هذه الآيات وغيرها مسألة تقرير إثبات وجود الله تعالىٰ، بدليل الخلق المنتظم البديع الدال علىٰ عنايته سبحانه وتعالىٰ، قال الواحدي (٤٦٨هـ) في قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]: «قال أهل المعاني: (حثهم الله علىٰ النظر المؤدي إلىٰ العلم، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ؛ ليستدلوا علىٰ أن لها صانعًا مدبرًا دبرها علىٰ ما أراد) [3]" وهذا استدلال صحيح، لكنه ليس هو المقصد من الآية فإن مقصد الآية هو الإقرار بالتوحيد، قال الزجّاج (٣١١هـ): (والمعنىٰ: ﴿أَوَلَمْ

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠/ ١٣.

(٢) جامع البيان، الطبري، ٢٤/ ٨.

(٣) التفسير البَسيط، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠ هـ، ٩/ ٤٩١، وانظر الوسيط له (٢/ ٤٣٢)، وانظر أيضـًا: بحر العلوم، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد (ت ٣٧٣هـ(، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١/ ٥٨٦، والسمعاني (٢/ ٢٣٧).

يَنظُرُواْ﴾ فيما دلّهم الله به علىٰ توحيده)" [١].

ويبيّن هذا الأمر ما قاله الطبري رحمه الله (٣١٠هـ)، حيث جعل دلالة النّظر في ملكوت السموات والأرض دليلاً علىٰ وجود الله المتفرد بصفات الكمال والجلال من غير ندٍ أو نظير وشبيه، وجعل هذه الدلالة داعية ودافعة لهم إلىٰ توحيده وإخلاص الدين له، ونبذ الشرك والتبرؤ منه.

قال رحمه الله: «أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله في ملك الله وسلطانه في السموات وفي الأرض وفيما خلق جل ثناؤه من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا أن ذلك ممن لا نظير له ولا شبيه، ومِن فِعلِ مَنْ لا ينبغي أن تكون العبادة والدينُ الخالصُ إلا له»[٢].

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف:١٨٥] مما يقع عليه اسم الشيء من الأجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم علىٰ وجود الصانع وقدمه، وكمال قدرته، وينبههم إلىٰ وحدانيته، وكمال قدرته، وعظم شأنه، وأن ذلك غير مقصور علىٰ ملك السموات والأرض، بل كل شيء خلقه الله سبحانه وتعالىٰ وبرأه فيه دليل علىٰ وحدانية الله سبحانه وتعالىٰ وآثار قدرته كما قال الشاعر:

وفي كل شيء له آية ... تدل علىٰ أنه واحد [٣].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا﴾ الآيات، فذكر هذه النِّعَم دلالة علىٰ وجوده سبحانه ووحدانيته؛ «لأن الله - تعالىٰ - مهد الأرض، فجعلها متمتَّعًا للخلق، ومنقلَبًا لهم، وأخرج منها ما يتعيشون به، وجعل سبب الإخراج ما ينزل من

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج؛ إبراهيم بن السريّ بن سهل، أبو إسحاق (ت٣١١)، ٢/ ٣٩٢. والبسيط، الواحدي (٩/ ٤٩١)، وانظر الوسيط له، ٢/ ٤٣٢، وانظر أيضًا: بحر العلوم، السمرقندي، ١/ ٥٨٦، وتفسير السمعاني، ٢/ ٢٣٧.

(٢) جامع البيان، الطبري، ١٠/ ٦٠٣،

(٣) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ٣/ ٤٤، ولباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، علاء الدين علي بن محمد الشيحي أبو الحسن، (ت٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٥ هـ. ٢/ ٢٧٨.

السماء من القطر، فجعل منافع الأرض متصلة بمنافع السماء، فلو لم يكن مدبرهما واحداً لانقطع الاتصال»[1] وهذا من أجمل والأدلة وأحسنها في إثبات الوحدانية، وأن مدبر العالم عُلْويّه وسُفليّه واحد سبحانَه، فملاءمة العالم العلوي للسفليّ؛ وعناية الله تعالىٰ به، وتدبيره وتيسيره، وتسخيره للإنسان، وملاءمته للخلق، ومنفعتهم منه، دلالة علىٰ الخالق سبحانه.

ولقد اعتبر ابن رشد رحمه الله (٥٩٥هـ)[2] أن "الطريقة الشرعية التي نبّه الكتاب العزيز عليها، واعتمدها الصحابة رضي الله عليهم ...ودعا الكلّ من بابها إذا استقرئ الكتاب العزيز؛ وُجدت تنحصر في جنسين[3].

أحدهما: طريق الوقوف علىٰ العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجلها..

والطريقة الثانية: ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، مثل اختراع الحياة في الجمادات"[4].

وقد سمىٰ الأولىٰ دليل العناية والثانية دليل الاختراع .

ثم شرع في تبيان ذلك فقال: "فأما الطريقة الأولىٰ فتبنىٰ علىٰ أصلين :

أحدهما أن جميع الموجودات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان.

والأصل الثاني: أن هذه الموافقة هي ضرورة من قِبل فاعل قاصد لذلك مريد ...إلخ

---

(١) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ١٠/ ٣٩٠، وانظر: بحر العلوم، السمرقندي، ٣/ ٤٣٩.

(٢) هو العلامة القاضي الفقيه أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الحفيد، اشتغل بالفلسفة واشتهر بها، فانقسم الناس فيه، كثير التصنيف في شتىٰ العلوم، من مؤلفاته: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ومناهج الأدلة في عقائد الملّة، توفي سنة ٥٩٥هـ، انظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت٦٦٨هـ)، تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، ص٥٣١-٥٣٢، والشذرات، ابن العماد الحنبلي، ٦/ ٥٢٢-٥٢٣.

(٣) تقدم من كلام شيخ الإسلام أن دلالة القرآن علىٰ وجود الله لا تكاد تنحصر، انظر: مسألة حدوث العالم ، ابن تيمية، ص ٥٤، ودرء التعارض، ابن تيمية ٩/ ٦٦.

(٤) مناهج الأدلة في عقائد الملّة، ابن رشد الحفيد، ص ١٥٠.

وأما دلالة الاختراع فيدخل فيها وجود الحيوان كله، ووجود النبات ووجود السموات، وهذه الطريقة تنبني علىٰ أصلين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس:

أحدهما: أن هذه الموجودات مخترَعةٌ..قال الله تعالىٰ:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ ﴾ [الحج: ٧٣] الآية، فإنا نرىٰ أجساماً جمادية ثم تحدث فيها الحياة ، فنعلم قطعاً أن ههنا موجِداً للحياة ومنعِماً بها، وهو الله تبارك وتعالىٰ، وأما السموات فنعلم من قِبل حركاتها التي لا تفتر أنها مأمورةٌ بالعناية بما ههنا ومسخرةٌ لنا، والمسخر المأمور مخترَعٌ من قِبَل غيره ضرورةً.

وأما الأصل الثاني: فهو أن كلّ مخترَع فله مخترِعٌ.

فيصبح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلاً مخترعـًا له"[1].

والمقصود من دلالة الاختراع أنها هي الوقوف علىٰ خواص الأجسام، وتكوينها، وتطورها، وتحولها من حالٍ إلىٰ حال، وقد أشار تعالىٰ إلىٰ ذلك بقوله:﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وقوله تعالىٰ:﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية :١٧].

ومن دلالة العناية ما يظهر من تدابير الله سبحانه في كونه العظيم الذي أحكم صُنْعَهُ، وقد جاءت آيات كثيرة في هذا المعنىٰ، فمن ذلك ما جاء بصيغة الاستفهام، قال تعالىٰ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الملك:٣] وكذا قوله:﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ -إلى قوله-﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ: ٦-١٦].

والناظر المتأمل في كتاب الله تعالىٰ يجد أن كثيراً من الآيات الدالة علىٰ وجود الله ثلاثة أنواع[2]:

إما آيات تتضمن التنبيه علىٰ دلالة العناية.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٥٠-١٥١.

(٢) مناهج الأدلة، ابن رشد، ص١٥٢، وبيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، ١/ ٤٩٦.

وإما آيات تتضمن التنبيه علىٰ دلالة الاختراع، وقد تقدم ذكر بعض الآيات الدالة علىٰ ذلك.

وإما آيات تجمع الأمرين من الدلالة جميعًا.

فمن الآيات التي ذكرت الدليلين، دليل الاختراع والعناية معـًا، وقد جاءت علىٰ سبيل الاستفهام، قوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية : ١٧] وهذا تنبيه لدلالة الاختراع ، وقوله بعد ذلك:﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٨-٢٠]، تنبيه لدلالة العناية ، حيث كان رفع السماء ، ونصب الجبال وانبساط الأرض من مظاهر عناية الله سبحانه وتعالىٰ بالخلق وخاصة الإنسان ، حيث سخر له هذه الأشياء العظيمة ليتبلغ بها في حياته أثناء سيره لربه.

فـ«موافقة الليل والنهار ، والشمس والقمر، لوجود الإنسان ، وكذلك موافقة الأزمنة الأربعة له، والمكان الذي هو فيه هو أيضـًا وهو الأرض، وكذلك تظهر أيضـًا موافقة كثير من الحيوان له، والنبات والجماد، وجزئيات كثيرة ، مثل الأمطار والأنهار والبحار، وبالجملة: الأرض والماء والنار والهواء»[1]. فهذه الموافقة كلها دليل العناية.

وبعد أن سرد شيخ الإسلام كلام ابن رشد، قال: «ذكره لهذين النوعين كلام صحيح حسن في الجملة، وإن كان في ضمنه مواضع قصّر فيها»[2].

ثم قال: «ودليل الإحداث والاختراع يدل علىٰ ربوبية الله تعالىٰ، ودليل الحكمة والعناية والرحمة يدل علىٰ رحمته، وقد افتتح الله كتابه العزيز بقوله:﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ وهذا أجود من طريق المتكلمين، طريقة الأعراض»[3].

(١) مناهج الأدلة، ابن رشد، ص١٥٠.
(٢) بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، ١/ ٥٠٠.
(٣) المصدر نفسه، ١/ ٥٠٠.

وربما استحسن بعض أفاضل الباحثين[١] استخراج بعض الصور من دلالة العناية وإبرازها كدلائل مستقلة نظراً لأهميتها، فمن ذلك:

دلالة الاتقان، ويحسن أن يستدل لها بصيغة الاستفهام بقوله تعالى: ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [الملك: ٣]، وهذا استفهام للتقرير[٢] ووقع بـ (هَلْ) لِأَنَّ (هَلْ) تفيد تَأْكِيدَ الِاسْتِفْهَامَ إِذْ هِيَ بِمَعْنَىٰ (قَدْ) فِي الْاستفهام، وفي ذلك تأكيد وحثٌّ علىٰ التبصر والتَّأَمُّل، أَي لَا تقتنع بِنَظْرة ونظرتين، فَتَقُولُ: لَمْ أَجِدْ فطوراً، بل كَرِّرِ النَّظَرَ وعاوده بَاحِثًا عَنْ مُصَادَفَةِ فُطُورٍ لَعلك تَجِدهُ[٣]، والمعنىٰ ما ترىٰ في خلق السماء من اعوجاج، ولا تشقق ولا صدوع، ولا تناقض ولا تنافر ولا تباين، بل هي مستقيمة مستوية دالة علىٰ خالقها، علماً وحساً، فهَذَا الْبناء الْعَظِيم الشَّديد الْوَاسِع؛ الله هو الَّذِي رفع سمكه أعظم ارتفاع، وزيّنَه بالمصابيح المنيرة، وجعلها علاماتٍ هاديةً للأزمنة والأمكنة، وجعله سقفاً محفوظاً، فيه من العجائبَ والآيات.

فسبحان من لَا يقدر الْخلق قدرَه ... وَمن هُوَ فَوق الْعَرْش فَرد موحَّد[٤].

سبحانه تعرّف إلىٰ خلقه بخلقه، وَنصب لَهُم الدلالات الواضحات، ووضع لهم الآيات البيّنات، الدالة عليه سبحانه، ليهلك من هلك عَن بَيِّنة ويحيا من حيّ بينة وأن الله سميع عليم[٥].

---

(١) انظر كتاب الأدلة العقلية النقلية علىٰ أصول الاعتقاد، العريفي، ص٢٣٤، ٢٣٧.

(٢) انظر التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، ١٤١٢ ه، ١٠/ ٢٢، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩/ ١٩.

(٣) انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩/ ١٩.

(٤) البيت لأمية بن أبي الصلت، كما في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي، وغيره، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، ١٣٨٧ ه، ٧/ ١٣٣، واجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. عواد بن عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ص٢١٨.

(٥) انظر مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ٢/ ٥٦٣-٥٦٤، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، ١٩/ ٢٢٩، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٤/ ٢٣٤، وفتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد =

وكذلك دلالة التدبير: "وقد جاءت ضمن الأسئلة التقريرية التي أمر الله نبيّه ﷺأن يحتج فيها علىٰ الكفار:﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣١] حيث إن الحس والفطرة يشهدان بضرورة مدبر هذا العالم، فكان إقرار الكفار بذلك"[(١)] .

وكذلك دلالة التسخير كما في قوله بصيغة الاستفهام المنبّه إلىٰ تسخير الله سبحانه لهذه المخلوقات:﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل : ٧٩].

وقوله تعالىٰ:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

وقوله﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان :٢٠].

فدل علىٰ أن هذه الأشياء المسخرة وفق نظام كوني متقن دليل علىٰ وجود من سخّرها وأتقنها، وهو الله سبحانه، وعزّ شأنُه، وتعالىٰ جدُّه.

وبهذا الأسلوب البياني الاستفهامي اللافت إلىٰ النظر في تدبير الله تعالىٰ وتسخيره وتيسيره؛ تتضافر الأدلة، وتتعاضد لاعتبار العناية بالخليقة دليلاً علىٰ الخالق.

* * *

=
اليمني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١ ١٤١٤ ه، ٥/ ٣٠٩.

(١) الأدلة العقلية النقلية، العريفي، ص٢٣٧.

المبحث الرابع: دلالة التخصيص:

المسألة الأولىٰ: الدليل من القرآن علىٰ أن التخصيص دليل علىٰ وجود الله:

جاء في القرآن الكريم عدة آيات بصيغة الاستفهام ذكرت فيها دلالة التخصيص، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: ٤٥-٤٦].

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص: ٧١- ٧٢]، وغيرها من الآيات.

المسألة الثانية: نوع الاستفهام:

نوع الاستفهام في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ الهمزة للاستفهام التعجّبيّ[1]، لأنه يدعو إلىٰ التأمل في عجيب صنع الله تعالىٰ، وقد تقدم أن هذه الصيغة الاستفهامية تأتي للتنبيه ولا منافاة بين ذلك.

وأما الاستفهام في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فـ"قوله ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ نظم وضع للسؤال والاستفتاء وقيل للتنبيه"[2]، "فأمر تعالىٰ نبيَّهُ أن يوقفهم علىٰ أمر الليل والنهار، وما منح الله فيهما من المصالح والمرافق، وأن يوقفهم علىٰ إيجاده تعالىٰ بتقليب الليل والنهار، وأنه لو مدَّ أحدهما سَرْمَداً لما وُجِد من يأتي بالآخَرِ"[3].

---

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم، صافي، محمود بن عبد الرحيم صافي، (ت ١٣٧٦هـ) دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ، ١٩/ ٢٦.

(٢) انظر التفسير البسيط، الواحدي، ٢٠/ ١٦٧.

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٤/ ٢٩٦-٢٩٧.

المسألة الثالثة: تقرير المسألة:

يتبين مما سبق سرده من الآيات، أن الله تعالىٰ له المشيئة والحكمة في اختيار الخلق كما يشاء، فهو سبحانه قادر علىٰ تسكين الظلّ ولكنه لحكمته تعالىٰ ورأفته جعله بهذه الخاصية من التمدد والانقباض، وهو سبحانه قادر علىٰ أن يجعل الليل سرمداً دائمـًا إلىٰ يوم القيامة، كما أنه قادر علىٰ جعل النهار ضياء مستمراً لا يغشاه ليل، ولكن اقتضت حكمته سبحانه ومشيئته أن يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، وأن يجعل الشمس دليلاً علىٰ النهار والقمر دليلاً علىٰ الليل، وهذا دالٌّ علىٰ أن الله سبحانه وتعالىٰ هو الحق الذي أوجدها وسخرها وخصّها بهذه الخصائص ولو شاء لكانت علىٰ غير ذلك، فهو سبحانه هو الذي أعطىٰ كل شيء خصيصته بحكمته، ليتلاءم ذلك مع حاجات المخلوقين ومصالحهم[1].

قال الواحدي تحت قوله: ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ﴾: " قال أصحابنا: الإتيان من دلائل إثبات صانع واحد، وذلك أنه كان يجوز في العقل دوام كون الظلمة، وكذلك الضياء، فلما تعاقبا دلّا علىٰ صانع يكور أحدهما علىٰ الآخر، ولما كان تعاقبهما علىٰ حسابٍ معلوم في الزيادة والنقصان، لا يختلفان في عام منذ خلقا، دلّ ذلك علىٰ توحيد الصانع؛ إذ لو كان معه إله لأشبه أن يريدَ أحدُهما بقاءَ الليل حين يريد الآخر انقضاءه، وكذلك ضياء النهار، فيختلفان حينئذ في حسابهما"[2].

وقد ذكر الرازي (٦٠٦هـ) ثمانية أوجه دالة علىٰ وجود الله تعالىٰ من اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما[3].

وحقيقة ذلك أنه ما من شيء تدركه من الأشكال، وتقدره من العلل والأحوال،

---

(١) انظر الكلام حول الآيات السابقة: التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص١٦٩، ومفتاح دار السعادة، ابن القيم، ٢/ ٥٩٠ وما بعدها.

(٢) التفسير البسيط، الواحدي، ١٧/ ٤٤٣.

(٣) انظر مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي، ٤/ ١٦٦-١٦٧.

إلا وهو يجوز لك وقوعه علىٰ خلافات لا ينحصر عددها، ثم تختلف ألوانُها وطعومُها وروائحُها، وأشكالُها اختلافًا لا ينضبط ولا يُتعدد ولا ينحصر، فإذا ثبت أن اتصاف تلك الأجرام بصفاتها التي هي عليه أمر جائز ــ إذ من الممكن أن تكون علىٰ هيئة أخرىٰ ــ وجب افتقارها في ذلك الاختصاص إلىٰ مخصّص مدبِّر قديمٍ عليم حكيم سبحانه وتعالىٰ عن قول الظالمين(١).

هذا وقد استعملت دلالة التخصيص لإثبات مشيئة الله تعالىٰ وإرادته، كما استعملت للدلالة علىٰ إثبات وجود الله تعالىٰ(٢)، فإذا كان يجوز في كل جزء من العالم أن يكون علىٰ خلاف صورته وصفته وحالته التي هو عليها الآن، فهو يحتاج إلىٰ مخصص يخصصها بالوجود دون غيرها من الصفات والأحوال الممكنة الأخرىٰ، فإذا كانت مخصَّصةً وجب المخصِّص (٣)، وقد صحح شيخُ الإسلام دليل التخصيص إلا أنه جعل دلالة الحادث علىٰ المحدِث أبين وأظهر(٤).

وهذا لا يعني أن يكون خلق الله تعالىٰ ومشيئته علىٰ خلاف الحكمة، كما لا يعني نفي الحكمة في أفعال الله تعالىٰ وإرجاع ذلك إلىٰ محض المشيئة، كما تقول به الأشاعرة، وطائفة من الفقهاء وغيرهم، فقولنا إن ما سوىٰ هذا الوجه جائز يراد به أنه جائز ممكن في نفسه، وأن الرب قادر علىٰ غير هذا الوجه، كما هو قادر عليه، وذلك لا ينافي أن تكون المشيئة والحكمة خصصت بعض الممكنات المقدورات دون بعض(٥).

وهكذا نجد أن تخصيص الله تعالىٰ بمشيئته وحكمته هذا الخلق بهذه الهيئة

(١) انظر مفاتيح الغيب، الرازي ٤/ ١٦٥. ومقدمات المراشد إلىٰ علم العقائد، السبتي أبي خمير، (ت:٦١٤) تحقيق: أ.د. أحمد عبد الرحيم السايح، وآخر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م. ص٦٦، وانظر أيضًا الرسالة النظامية، الجويني، ص١٣.

(٢) انظر: درء التعارض، ابن تيمية ٩/ ١٠٧_١١٢، والرسالة التدمرية، ابن تيمية، ص٣٤، وشرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية ص٥٢، ٥٣.

(٣)انظر مقدمات المراشد، أبو خمير السبتي، ص٧٠. والأدلة العقلية النقلية، العريفي، ص٢٣٩.

(٤) انظر شرح الأصفهانية، ابن تيمية، ص٥٣.

(٥) انظر درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ٩/ ١١٠، ١١١.

البهيّة وتقليب أزمنته لتتوافق مع سائر خليقته؛ دالّ علىٰ مَن خصّص هذه الأزمنة والأمكنة بما هي عليه الآن، فلما سُبقت بأداة الاستفهام ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ و﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ وأشباهها الداعية للتأمل في الخلق العجيب، والدالة علىٰ التقرير بهذا الأمر المحسوس، والمركوز في الفِطَر والنفوس، دلّ علىٰ أهمية العناية بهذا الدليل والاستدلال به علىٰ وجود ذي العظمة والجلال.

* * *

الخاتمة

الحمد لله الذي منَّ عليَّ بإتمام هذا البحث وتفضل، والصلاة والسلام على النبي المفضل، وعلىٰ آله وصحبه أولي النهىٰ، الذين بلغوا الدرجات العلىٰ، في العلم والهدىٰ، وعلىٰ أتباعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فلا يخفىٰ علىٰ أحد أهمية تدبر كتاب الله تعالىٰ، ومعرفة ما فيه من أدلة في أصول الدين وفروعه، من عقائد وعبادات وأخلاق، وهو الكتاب الذي لا ينضب معينه، ولا يبلىٰ علىٰ مرّ العصور، لذلك رأيت أن أدرس شيئًا من عظمة هذا الكتاب العظيم، مما يتعلق بالأدلة الدالة فيه علىٰ إثبات وجود الله تعالىٰ، وكلُّه دلائل علىٰ ذلك، ولكني أحببت أن أدرس أسلوب الاستفهام في سياق الآيات الدالة علىٰ عظمته سبحانه؛ فأستخرج منها الآيات الدالة علىٰ إثبات وجوده، دون ما يدل علىٰ سائر صفات الربوبية، من خلق ورزق وتدبير، وإحياء وإماتة، وغيرها..

والذي دفعني لذلك ما راج عند كثير من الناس أن القرآن ليس فيه أدلة عقلية مقنعة تدل علىٰ إثبات وجود الله تعالىٰ، فدرست الآيات الدالة علىٰ وجوده سبحانه بأسلوب الاستفهام، فوجدت آيات كثيرة في هذا الباب، ومن خلال كلام أهل العلم استطعت أن أستخرج الشاهد منها، ولا أقول إني درست جميع الآيات الواردة في الاستفهام، ولكن درست نماذج مهمة تعطينا فكرة واضحة حول قضية القضايا.

وقد وقفت علىٰ أنواع الأدلة التالية:

آيات تدل علىٰ أن وجود الله تعالىٰ يُعلم بالعقل، بطريقة سليمة وخالية من التعقيد الكلامي والفلسفي، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥].

وهناك آيات تدل علىٰ وجود الله بدلالة الحس والمشاهدة، من تدبيرٍ لهذا الكون وتسخيرٍ له، ودلالة النفس والآفاق، حيث كانت النفس شاهدة علىٰ ذلك.

وهناك آيات تدل علىٰ ما أشار إليه العلماء من دلالة تخصيص بعض خلقه

بخصائص دون آخرين، وأن هذا الكون موجود علىٰ مشيئة مخصّصة، وكان الله تعالىٰ قادراً علىٰ إنشائه بصفة أخرىٰ، دلّ ذلك علىٰ وجود مخصِّص عليم حكيم مريد.

ويمكن إجمال نتائج هذا البحث في الأمور التالية:

- أن القرآن العظيم فيه من الأدلة الكافية علىٰ أصول الاعتقاد، وأهم ذلك: إثبات وجود الله تعالىٰ، كما قال سبحانه:﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].
- أن أكثر الأدلة الدالة علىٰ وجود الله تعالىٰ جاءت بصيغة الاستفهام، ومن يتأمل أبواب الاستفهام في كتب البلاغة سيجد أن أغلب الأمثلة المضروبة علىٰ ذلك أمثلة قرآنية، متعلقة بالعقائد.
- أن أنواع الاستفهام الذي جاءت به ـ فيما يتعلق بموضع البحث ـ غالبه: إما غرضه الإنكار، أو التقرير، ويأتي أيضاً للتنبيه وعلىٰ ما هو معلوم ولكن قد يغفل عنه الناس لكثرة ملابسته ورؤيته؛ فيحتاج من ينبّه عليه ويوقظ الفكرة فيه.
- أنه قد يختلف المفسرون في نوع الاستفهام، أهو إنكاري أم تقريري، بناء علىٰ تفسيرهم للآية.
- أنه قد تتعدد أغراض الاستفهام في الآية الواحدة، أهو للتنبيه أم للتعجيب أم للتوبيخ، بناءً علىٰ فهم العلماء لسياق الآية، ولا يمنع أن تجتمع بعض الأغراض الاستفهامية في استفهام واحد.
- أن الأدلة القرآنية علىٰ وجود الله متنوعة؛ أهمها: الدلالة العقلية، ودلالة الخلق والاختراع، ودلالة النفس، وما يتعلق بهما من دلالة العناية والتخصيص، وغيرها من الآيات التي لا يمكن أن تُرد.

التوصيات:

تبيّن لي أثناء كتابة هذا البحث، أن هناك أموراً جديرة بالبحث، أهمها:

- تتبع الاستفهامات القرآنية الدالة علىٰ البعث والنشور.
- الاستفهامات القرآنية التي استشهد بها علماء البلاغة دراسة عقدية مقارنة.

نسأل الله تعالىٰ أن يلهمنا العلم بكتابه وسنة نبيه صلىٰ الله عليه وسلم، والعمل بهما إنه سبحانه لطيف بعباده.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم، والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١. **الاتقان في علوم القرآن**، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ) تقديم وتعليق: مصطفىٰ ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٢. **اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية**، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. عواد بن عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٣. **الأدلة العقلية النقلية علىٰ أصول الاعتقاد**، العريفي، سعود بن عبد العزيز، إصدار مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الخُبر، السعودية، ط١، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.

٤. **إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفىٰ (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥. **الأصول الخمسة**، القاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي، (ت٤١٥هـ) حققه: د. فيصل بدير عون، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٩٨م.

٦. **إعراب القرآن وبيانه**، درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفىٰ (ت ١٤٠٣هـ) دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، دار اليمامة و دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط٤، ١٤١٥ هـ.

٧. **الأعلام**، الزركلي، خير الدين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٩، ١٩٩٠م.

٨. **إلجام العوام عن علم الكلام، الغزالي؛ أبو حامد محمد بن محمد الطوسي**، (ت٥٠٥هـ) تحقيق، المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥.

٩. **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، الباقلاني، القاضي أبو بكر الطيب، البصري، (ت٤٠٣هـ) تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

١٠. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ – ١٤١٨ هـ.

١١. **الإيضاح في علوم البلاغة**، الخطيب القزويني، جلال الدين، أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

١٢. **بحر العلوم (تفسير السمرقندي)**، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت ٣٧٣هـ(، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وآخرين، دار الكتب العلمية.

١٣. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

١٤. **البداية والنهاية**، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م سنة النشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٥. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

١٦. **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨.

١٧. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.

١٨. **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية**، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٩. **تأويلات أهل السنة**، الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٢٠. **التبيان في إعراب القرآن**، العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت ٦١٦هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، نشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢١. **التبيان في أقسام القرآن**، ابن قيم الجوزي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٢. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٢٣. **التدمرية**، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٦ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٤. **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٥. **ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان**، ابن الوزير، أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٢٦. **التسهيل لعلوم التنزيل**، الكلبي، ابن جزي أبـو القاسـم، محمـد بـن أحمـد بـن محمد الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ) د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم، بيروت، ط١- ١٤١٦ هـ.

٢٧. **تفسير ابن فورك**، (من أول سورة المؤمنون -آخر سورة السجدة)، ابن فـورك محمد بن الحسن الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير).

٢٨. **التَّفْسِيرُ البَسِيط**، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠ هـ.

٢٩. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٣٠. **تفسير القرآن**، السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم، وغيره، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٣١. **التفسير المظهري**، المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، ١٤١٢ هـ.

٣٢. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي، وغيره، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، ١٣٨٧ هـ.

٣٣. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري؛ محمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبو جعفر (ت٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر ، دار هجر

للطباعة، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٣٤. **الجامع الصحيح**، البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، طبع وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ. ١٩٩٩م.

٣٥. **الجامع الصحيح**، مسلم بن الحجاج أبو الحسين، القشيري النيسابوري، طبع وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

٣٦. **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور**، ابن الجزري، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: الدكتور مصطفىٰ جواد، والدكتور جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

٣٧. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني، وآخر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م.

٣٨. **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، صافي، محمود بن عبد الرحيم صافي، (ت١٣٧٦هـ) دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨ هـ.

٣٩. **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، البيطار، عبد الرزاق، حققه: محمد بهجة البيطار، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، ١٣٨٠هـ.

٤٠. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، الحلبي، ابن السمين أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

٤١. **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية الحراني الدمشقي، أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام، السعودية، ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤٢. **الرد علىٰ المنطقيين**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي (٧٢٨هـ) تقديم السيد سليمان الندوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤٣. **الرسالة النظامية في الأركان الإسلامية**، الجويني، إمام الحرمين عبد الملك

(٤٧٨هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م.

٤٤. **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤.

٤٥. **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)، حققه جماعة من الباحثين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٤٦. **الشامل في أصول الدين**، الجويني، إمام الحرمين عبد الملك (٤٧٨هـ)، حققه: علي سامي النشار، وآخرون، دار المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٩م.

٤٧. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد ابن محمد أبو الفلاح (ت١٠٨٩هـ) حققه: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م.

٤٨. **شرح العقيدة الأصفهانية**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي (٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد السعودي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط٢، ١٤٣٣هـ.

٤٩. **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز الحنفي، (ت٧٩٢هـ)، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٥٠. **شرح الكوكب المنير (المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه)**، الفتوحي، محمد بن عبد العزيز بن علي ابن النجار (٩٧٢هـ) تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، طبع جامعة أم القرى، وتوزيع وزارة الشؤون الإسلامية في الرياض، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٥١. **شرح جوهرة التوحيد، (تحفة المريد)**، البيجوري، إبراهيم بن محمد الشافعي، حققه: علي جمعة محمد الشافعي، دار السلام، مصر، القاهرة، ط١/ ١٤٢٢هـ.

٥٢. **شرح حديث النزول**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، (ت٧٢٨هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٥، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
٥٣. **الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة**، ابن قيم الجوزية، محمد ابن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، السعودية، ط١ ، ١٤٠٨هـ.
٥٤. **العظمة**، الأصبهاني، أبو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري (ت ٣٦٩هـ)، تحقيق: رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨.
٥٥. **علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)**، المراغي، أحمد مصطفىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٥٦. **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن حليفة (ت٦٦٨هـ)، تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت.
٥٧. **فتح القدير**، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليمني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١ ١٤١٤ هـ.
٥٨. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (المتوفىٰ: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ - ١٤٠٧ هـ.
٥٩. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.
٦٠. **الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)**، الكفوي، أيوب بن موسىٰ الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (ت١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
٦١. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، الخازن، علاء الدين علي بن محمد الشيحي أبو الحسن، (ت٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٥ هـ.

٦٢. **اللباب في علوم الكتاب**، لابن عادل الحنبلي، عمر بن علي، الدمشقي النعماني، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٦٣. **مجموع الفتاوىٰ**، ابن تيمية؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٦٤. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٦٥. **مسألة حدوث العالم**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، ثم الدمشقي (٧٢٨هـ)، تحقيق: يوسف بن محمد مروان الأوزبكي المقدسي، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.

٦٦. **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ابن فضل الله، أحمد بن يحيىٰ العدوي العمري، (ت ٧٤٩هـ) المجمع الثقافي، أبوظبي، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦٧. **المسند**، ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني (٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٦٨. **المسند**، الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (٢٠٤هـ)، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والتوزيع والإعلان، الجيزة، مصر، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٦٩. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (٥١٦هـ) تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٧٠. **معاني القرآن**، الفراء، أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله الديلمي، (٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد بن يوسف النجاتي، وغيره، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط١.
٧١. **معاهد التنصيص علىٰ شواهد التلخيص**، العباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح (ت: ٩٦٣هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت.
٧٢. **معجم البلاغة العربية**، طبانة، بدوي، دار المنارة، للنشر والتوزيع، جدة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م
٧٣. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام، جمال الدين الأنصاري، (ت٧٦١هـ) حققه الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٧٤. **المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار**، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي (ت٤١٥هـ) تحقيق الدكتور خضر محمد نبها، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.
٧٥. **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)** الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.
٧٦. **مفتاح العلوم، السكاكي**، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (٦٢٦هـ) مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١.
٧٧. **مفتاح تلخيص المفتاح**، الخلخالي، شمس الدين، محمد بن مظفر، الخطيبي، (٧٤٥هـ) تحقيق أ.د. هاشم محمد هاشم محمود، ، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ٢٠٠٦م.
٧٨. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت٧٥١هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ط٢، ١٤٣٦هـ.

٧٩. **مقدمات المراشد إلىٰ علم العقائد**، السبتي أبي خمير، (ت:٦١٤) تحقيق: أ.د. أحمد عبد الرحيم السايح، وآخر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٨٠. **ملخص تلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، الأنصاري، أبو يحيىٰ زكريا الأنصاري (٩٢٦هـ) تحقيق إلياس قبلان التركي، دار صادر، بيروت، مكتبة الإرشاد، استانبول، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٨١. **مناهج الأدلة في عقائد الملة**، ابن رشد القرطبي، تقديم وتحقيق: محمود قاسم، عميد دار العلوم، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٦٤م.

٨٢. **مناهج الجدل في القرآن الكريم**، الألمعي، زاهر بن عواض، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٣٣هـ.

٨٣. **منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد**، البريكان، إبراهيم بن محمد بن عبد الله، دار ابن القيم، الرياض، دار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤.

٨٤. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٨٥. **النكت والعيون**، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٨٦. **الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره**، ابن أبي طالب، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني المالكي (٤٣٧هـ)، تحقيق جماعة من الباحثين، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٨٧. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

❊ ❊ ❊